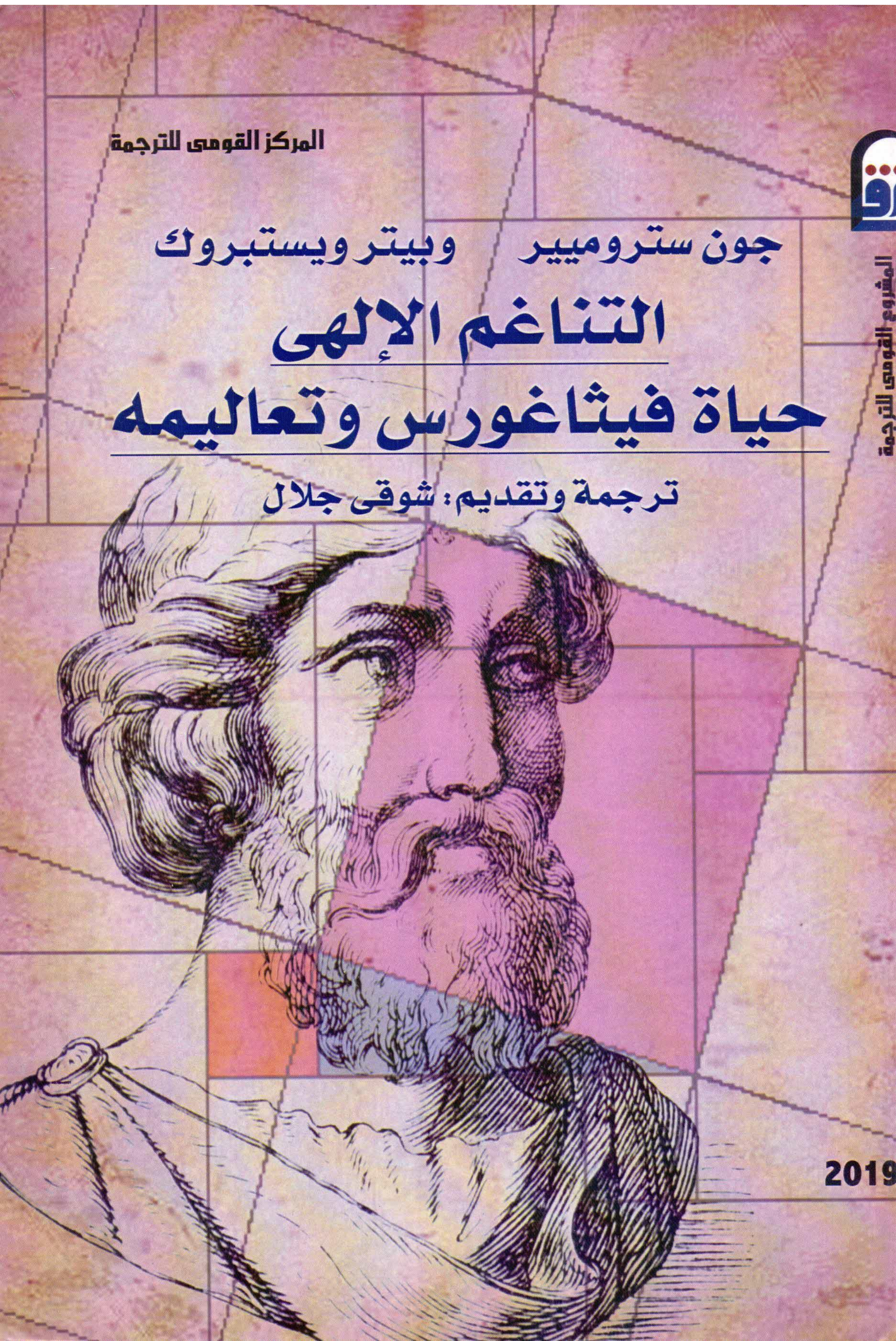

المركز القومى للترجمة
المشروع القومى للترجمة
جون سترومبير وبيتر ويستبروك
التناغم الإلهى
حياة فيثاغورس وتعاليمه
ترجمة وتقديم: شوقى جلال
2019



"التناغم الإلهى" محاولة لتصحيح التاريخ بنظرة أقرب إلى الموضوعية مبرأة من انحياز أيديولوجيا المركزية الغربية، ويمثل الكتاب جهداً متميزاً لإنصاف موضوعية التاريخ، ويدخل ضمن سلسلة الكتب التي ألفها غربيون بهدف نقد الانحياز الغربي باسم الاستشراق ضد تواريخ المستعمرات السابقة.

يؤكد الكتاب قاعدة علمية إنسانية بسيطة، مؤداها أن الإنسان فكراً وسلوكاً هو ثمرة حياته الاجتماعية وتفاعلاته مع الآخرين محاكاة وإبداعا.

وهذا هو حال فيثاغورس، عاش حياة علمية/ فكرية صوفية واسعة الأفق متنوعة المناهل. وقيمة الكتاب تكمن فى أنه رد اعتبار لتاريخ مصر المفترى عليه؛ إذ يوضح أن فيثاغورس إغريقي المولد، مصري بابلي النشأة العلمية.

التناغم الإلهى

حياة فيثاغورس وتعاليمه

المركز القومى للترجمة
تأسس فى أكتوبر ٢٠٠٦ تحت إشراف: جابر عصفور

إشراف: فيصل يونس

- العدد: 2019
- التناغم الإلهي: حياة فيثاغورس وتعاليمه
- جون ستروميير، وبيتر ويستبروك
- شوقي جلال
- الطبعة الأولى 2012

هذه ترجمة كتاب:

DIVINE HARMONY: The Life & Teachings of Pythagoras
By: John Strohmeier & Peter Westbrook

شارع الجبلاية بالأوبرا- الجزيرة- القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤
El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo.
E-mail: egyptcouncil@yahoo.com Tel: 27354524 Fax: 27354554

التناغم الإلهى

حياة فيثاغورس وتعاليمه

تـــألــيـــف : جـــون ســـترومــيــيـــر

ويـيـــتـــر ويســـتـــبــروك

ترجمة وتقديم : شـــــوقـى جــــلال



2012

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

ستروميير، جون
التناغم الإلهي : حياة فيثاغورس وتعاليمه/ تأليف: جون ستروميير، بيتر ويستبروك، ترجمة وتقديم : شوقي جلال.
ط ١- القاهرة : المركز القومي للترجمة، ٢٠١٢
١٦٠ص، ٢٤ سم
١- الفلسفة اليونانية.
(ز) ويستبروك ، بيتر (مؤلف مشارك)
(ب) جلال، شوقي (مترجم ومقدم)
(جـ) العنوان ١٨٢

رقم الإيداع ٢٠١١/١٩٣٩٦
الترقيم الدولي I.S.B.N. 978 - 977 - 704-827-9
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومي للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربي وتعريفه بها ، والأفكار التي تتضمنها هي اجتهادات أصحابها في ثقافاتهم ، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المركز .

المحتويات

القسم الثانى

تعاليم فيثاغورس

القسم الثالث

أفول المدرسة الفيثاغورية

القسم الرابع

القصائد الذهبية

جميع اليونانيين الذين اشتهروا بعلمهم

وحكمتهم زاروا مصر فى العصور القديمة حتى يتعرفوا

على عاداتها وينهلوا من علومها...

وإن كل الأشياء التى جلبت لهؤلاء الإعجاب كانت منقولة عن مصر

ديودور الصقلى

كتاب تاريخ العالم

ج١ القرن الأول الميلادى

سمعت بضواحى نواقراطس إحدى مدن مصر

أنه كان بمصر أحد الآلهة القدماء يدعى توت أو تحوت

وأنه هو الذى ابتدع الأعداد والهندسة

والهيئة والشطرنج والنرد والكتابة .

أفلاطون - محاورة فيدروس

مقدمة الترجمة العربية

الأيديولوجيا والتاريخ

فيثاغورس موضوع لدراسة حالة

اختلطت الأسطورة بالتاريخ، وصبغت الأيديولوجيا نسيج الحقيقة بلونها وانتفت الموضوعية الشفافة. ويرى جمهرة الباحثين ما تؤكده سوسيولوجيا المعرفة، وما يؤكده مبحث السيميوطيقا من أن التاريخ نسيج جامع فى خيوطه المتشابكة ما بين الذاتى والموضوعى، وأن التدوين التاريخى لذلك يقترب ويبتعد بدرجات متفاوتة عما يمكن إثباته تحت اسم "الحقيقة الموضوعية".

الأيديولوجيا من حيث هى منظومة رمزية تحدد للباحث ما الذى يغفله، وما الذى يدركه، وكيف يفهمه ويصوغه فى لغة ... الأيديولوجيا هى البارادايم أو النموذج الإشارى أو الإطار الفكرى الذى يصوغ الرؤى الممكنة عن النظام الاجتماعى فى خطاب متسق مع نفسه ومفهوم لأصحابه صياغة هادفة ... يرى المرء من خلالها أهدافه / توقعاته / آماله / أفعاله ... ثم ينفثها أو يغرسها فى رأس الآخر الخصم ليتبناها وليتوحد معه فكرا، منسلخا عن ذاته، ويبقى أسير وعى جديد مفروضا عليه قسرا من طرف له الهيمنة. وحيث إن البشر كائنات مستخدمة للرمز/ اللغة.

واللغة ليست شفافة، فاللغة قناع بقدر ما هى أداة توصيل ... ولهذا فإن خبرتنا بالواقع والحقيقة الواقعية (الحدث التاريخى) تتم صياغتها بناء على معنى الأشياء عند المرء، ويتم تأطيرها على أساس المعتقدات والمثل العليا والعواطف المشتركة ضمن الوعاء الرمزى الذى نسميه اللغة.

وتأسيسا على هذا الفهم تستلزم منا المعرفة التاريخية، وفقا لمبحث سوسيولوجيا المعرفة، دراسة العلاقة بين الفكر والمجتمع، وفهم الظروف الوجودية الاجتماعية للمعلومة، الظروف التى أحاطت بإنتاج وتلقى الأفكار التى صيغت أيديولوجيا فى نسق معرفى هادف ... وهذا هو منهج التأويل "الهرمنيوطيقا".

وكما يقول كارل مانهايم : " جميع الأفكار بما فى ذلك الحقائق وثيقة الصلة متأثرة بالموقف الاجتماعى والتاريخى الذى انبعثت عنه ".

وتحدد أيديولوجيا الباحث أى ثقافته هدفه من البحث والمعرفة والكلمة المنشورة، وتحدد له اللغة والأسلوب ورؤيته للحدث وللعالم ... والأيديولوجيا بذلك هى القوة الناعمة فى إطار الصراع للسيطرة على الأذهان / الرؤية / الفهم / النظر إلى الأمور... ومن ثم السلوك والفعل ... وتعيد صياغة الإطار الفكرى التاريخى. هذا ما يحدث على الصعيد المحلى بين شرائح المجتمع؛ وعلى الصعيد العالمى فيما بين المجتمعات ... الصراع المسلح الذى يتوجه صراع الثقافات. ولهذا نقول إن مبحث التاريخ فى حد ذاته هو أحد ميادين الصراع الأيديولوجى.

مبحث التاريخ حلبة صراع بين الثقافات: الرؤى والمصالح والسلوك ... والكلمة العليا لصاحب الغلبة للمنتصر دائما... لهذا يشتمل التاريخ على ما نسميه المنفى الفعال ... أعنى ما حجبته قسرا قوى المنتصر وسلطانه، وإن ظل باقيا خافيا كمن يتربص إلى حين فرصة تمنحه قوة وقدرة على الظهور مثلما كان فى الماضى دون اعتبار للتغيرات فيكون ردة، أو فى ثوب جديد ملائم لمقتضيات روح العصر فيكون تطورا وارتقاء. ويصدق هذا أكثر ما يصدق على تاريخ مصر المهزومة سياسيا منذ ٥٠٠ ق.م

اصطلحت إرادات القوى الغازية على اختلاف مشاربها على طمس الذاتية الثقافية لمصر ووعيها بذاتها الذى يشكل ركيزة جوهرية لتماسك البنية الاجتماعية ولوحدة الوعى التاريخى واستعادة مبررات قوتها الإقليمية لكى تعقد العزم على الشروع فى بناء نهضة جديدة.

وإذا كان اختيار الباحث لموضوعاته ونهجه فى المعالجة يعكسان انحيازا أيديولوجيا، فإننى أعترف بداية أن اختيارى لهذا الكتاب تعبير عن انحيازى التماسا لتاريخ مصر الأقرب إلى الموضوعية والحقيقة. تاريخ مصر الذى افترى عليه الغزاة، بل ومصريون أيضا، باسم الأكاديمية الزائفة حينا، وباسم المقدس حينا آخر، وأصبح منذ احتلال الفرس لمصر ومن جاء بعدهم من الغزاة موضوعا للتجريم أو التحريم. والأمر فى الحالين تعبير عن صراع أيديولوجى يخفى صراع مصالح، ولا تزال الجريمة ممتدة فى حق التاريخ على الرغم من استقلال مصر .

وتمثل قصة حياة فيثاغورس وإنجازاته تطبيقا لهذا النهج فى الصراع ... من الذى كتب تاريخه؟ وكيف تناول المؤرخون فى الغرب حياته؟ ما الموقف والدور والهدف والمصلحة والسياق والإطار الفكرى فى الزمان والمكان للمؤرخ؟ ويحفزنا إلى اختيار موضوع فيثاغورس الذى يتناوله هذا الكتاب أن ما رواه المؤرخون فى الغرب، وما تعلمه المصريون على أيدى الغرب، وعاشوا أسرى له يدخل ضمن جهود استلاب تاريخ أمة، وانتحال ثقافتها، وتزييف دورها العلمى لغرس مشاعر التفوق والهيمنة فى نفوس الغرب ومشاعر الدونية عند أهل مصر لإعاقتهم عن الحركة أو عن التطلع إلى النهوض والمناهضة الندية للغرب.

ولكن لا يفوتنا من باب الأمانة أن نقرر أن بعض مفكرى الغرب فى النصف الثانى من القرن العشرين بخاصة كانوا أسبق من بنى مصر فى بذل الجهد لنقد كتابة التاريخ من منظور غربى، ومن ثم رد الاعتبار لمصر ودورها الحضارى، ولكن مصريين أكاديميين انبروا للتصدى لما يخالف إطاراً فكريا تربوا عليه وظنوه الحقيقة.

وهذا هو ما حدث أيضا بالنسبة لتاريخ العديد من المستعمرات التى انبرى كتابها ومؤرخوها لكتابة تاريخ بلادهم من منظور وطنى وواقعى موضوعى قدر الاستطاعة ليكون التاريخ أرضية صلبة تؤكد وحدة الذاتية القومية والانتماء وتوحيد الجهود للنهضة على نحو ما نجد فى الصين والهند وغيرهما؛ إذ إن الوعى بالتاريخ يمثل دعامة أساسية، بل حيوية لحشد الجهد نحو هدف قومى مشترك.

ويمثل فيثاغورس نموذجا واضحا وصارخا لنهج الغرب، ويمثل تجسيدا لافتراءات الغرب على الشرق، وأيضا تجسيدا لمراجعة الغرب لذاته وكشف المسكوت عنه. ولعل هذا هو سر حياة فيثاغورس اللغز الذى اختلطت فيه الأسطورة والحقيقة. وتعبر عن هذا الخلط رؤية للفيلسوف البريطانى برتراند رسل الذى يقول فى كتابه "تاريخ الفلسفة الغربية" ص٤٦" لا نعرف القليل عن حياته. قال عنه البعض إن أباه تاجر ناجح يدعى مينيسا ركوس، وقال آخرون إنه ابن الرب أبوللو... فيثاغورس من أهم رجال التاريخ وأكثرهم إثارة للحيرة ... ليس فقط لأن التراث الموروث عنه خليط معقد على نحو لا مثيل له بين الحقيقة والزيف ... [ص٤٨ - ٤٩].

بدا فيثاغورس لغزا فى سياق تاريخ الفكر الغربى من حيث النشأة الفكرية وتعاليمه ومنهجه فى نشر فكره أو فلسفته، بل وغرابة هذا الفكر قياسا إلى ما كان شائعا فى بلاد الإغريق، وقياسا إلى العقلانية التى يراها البعض خاصية مميزة للفكر الإغريقى. وهذا ما يؤكده العديد من رجال الفكر الغربيين، وحفزهم إلى البحث عن المصادر غير الإغريقية التى استمد منها فيثاغورس فكره ونظريته فكانت أساسا بنى عليه اجتهاداته وإبداعاته الخاصة.

وتعددت الآراء التى تشير إلى هذا " الشذوذ " وإلى أسباب الجهل بفكره. مثال ذلك ما يقوله مؤلفا كتاب التناغم الإلهى: "ربما يمثل فيثاغورس المفكر الأقل حظا من حيث الدراية بفكره وحياته دون جميع مؤسسى التراث الفكرى الغربى ... وإن تقييم أثر هذا العالم والصوفى وأول فيلسوف يمثل أمرا جوهريا لنا إذا ما شئنا تجاوز الفهم السطحى لجذورنا الفكرية».

ثمة مصادر قليلة قريبة العهد من زمن فيثاغورس عنى أصحابها بتاريخ فيثاغورس وفكره، وكتبوا عن سيرته الذاتية وعن فكره ومنهجه، ونذكر من بين هؤلاء فورفيريوس الفيلسوف الأفلوطينى تلميذ الفيلسوف المصرى فى العصر الهللينى أفلوطين وديوجينوس لاريتوس Diogenus Laortius فى القرن الثالث الميلادى، هذا علاوة على عدد من محاورات أفلاطون التى تعبر مباشرة عن فكر فيثاغورس، وكذا

بعض شذرات من تعاليم فيثاغورس حفظها لنا التاريخ. ثم إن فيثاغورس وهو أول من سمى نفسه المحب للحكمة، وأن فكرة حب الحكمة «فيلوسفيا» أو فلسفة هذا اللقب كما أوضـح د.مصطفى النـشار مشتق من كلمة قال عنها أفلاطـون فى مقدمة محاورة "أقراطيلوس" إن كلمة سوفيا ليست من أصل إغريقى إنها كلمة وافدة. وأكد مارتن برنال فى كتابه "أثينا إفريقية سوداء " Black Athena، كما أكد غيره، أنها كلمة مصرية قديمة.

وامتداداً لهذا النهج الغربى النقدى، واتساقا معه، والتزاما بروح وطنية مؤسسة على فكر علمي، ظهرت دراسات مصرية عديدة ترد الاعتبار لمصر القديمة باعتبارها أحد المصادر الأولى، مع بابل والهند والصين، وغيرها للفكر الفلسفى، وأوضحت كيف أثرت مدارس الفكر الفلسفى القديمة فى الفكر الإغريقى وكيف أثراها الفكر الإغريقى بإبداعاته، ذلك أن الفكر إنسانى المنبع والطابع، وإن تنوعت خصوصياته مع خصوصية الفعل والسياق. ونذكر من هؤلاء د/محمود محمد على محمد فى كتاب له بالغ الأهمية "الأصول الشرقية للعلم اليونانى"، ود/مصطفى النشار فى عدد من الكتب المهمة، ود/حسن طلب، والكاتب عزيز فهمى المغترب فى الولايات المتحدة ويعيش بوجدانه وبفكره مع تاريخ مصر، وقد عكف على دراسة فيثاغورس، التاريخ والشخصية والإنجازات، أربع سنوات. وهو الذى أهدانى نسخة من كتاب "التناغم الإلهى" وله منى جزيل الشكر. وأذكر أيضا د/ لطفى عبد الوهاب بجامعة الإسكندرية وله دراساته المهمة عن تاريخ مصر القديمة هناك أيضا الدكتور/ مصطفى العبادى الذى دأب على أن يقدم فى كتاباته تاريخ مصر الحقيقى، نذكر من بينها كتاب "مكتبة الإسكندرية القديمة وسيرتها ومصيرها".

ويوجز عزيز فهمى تاريخ حياة فيثاغورس فى رد له على مقال لكاتب التزم النهج الغربى فى كتابته عن فيثاغورس [انظر مقال عزيز فهمى فى المصرى اليوم ٢٠١٠/٧/٥].

أولا: فيثاغورس شخصية حقيقية قدم إلى مصر وهو ابن الثامنة عشرة، وعاش في مصر ٢٢ سنة دارسًا في معابدها، ودخل نظام الأسرار المصرى وأصبح كاهنا. وأخذه الفرس أسيرا مع كثيرين آخرين من الكهنة العلماء المصريين عندما احتل الفرس مصر عام ٥٢٥ ق.م. وأرسلوه إلى بابل التى أصبحت آنذاك مركزا لإدارة شئون الإمبراطورية الفارسية .

ثانيا: عاش فيثاغورس في بابل ٥ سنوات تحت السيادة الفارسية، ثم حصل على إذن للعودة إلى مهبط رأسه ساموس .

ثالثا: جاء إلى الشرق وهو ابن الثامنة عشرة، وغادر الشرق وهو ابن الخمسين من عمره، وتعلم واستوعب علوم مصر وبابل أهم حضارتين في تاريخ الشرق. وتميزت هاتان الحضارتان في علوم الرياضيات والفلك والهندسة والفلسفة والموسيقى وغيرها .

ويقول فهمى "ولم تختلف شهادة المؤرخ الإغريقى الأول هيرودوتس ٤٨٤-٤٢٥ق.م عن ذلك، وأفاض في فضل الحضارة المصرية الفرعونية على الحضارة الإغريقية، ثم يستطرد موضحا موقف الاستشراق الغربى المنحاز، ويقول مع تقدم الحفريات الأثرية خلال القرن العشرين، وفك طلاسم اللغتين الهيروغليفية والأكادية... جاءت النصوص القديمة لتقدم الأدلة على أن فيثاغورس تعلم في معبد ديوسبوليس Diospolis بمصر وأنصفت الكثير من أطروحات هيرودوتس" .

ويقول فهمى أيضا: "وتقتضى الأمانة الثناء على مؤرخى علم الرياضيات في جامعة سان أندروز بإسكتلندا المتخصصة في الرياضيات، الذين قدموا تاريخًا صحيحًا لحياة فيثاغورس، وأقامته المطولة في الشرق. ويوضح المؤرخ سالينجروس Salingros في مقالة على موقع الجامعة " إن الهندسة المعمارية في التاريخ القديم كانت جزءا من علم الرياضيات" ، ويضيف قائلا: "إن ما أريد التأكيد عليه

هنا هو فضل مصر الفرعونية على علم الرياضيات طوال ٣٠٠٠ سنة قبل مجىء فيثاغورس مصر.

وجدير بالذكر أن هذا ما تؤكده دراسات عديدة صادرة عن الجمعية الفلسفية الأمريكية نذكر منها دراسة ضخمة من عدة مجلدات بعنوان "العلم المصرى القديم كتاب مرجعى" المجلد الثالث بعنوان "الرياضيات فى مصر القديمة" عام ١٩٩٩. تتبعت الدراسة تاريخ نشأة الرياضيات فى مصر القديمة إلى ما قبل حكم الأسرات وتطورها مع احتياجات الحياة العملية الحساب، والقياس؛ قياس المسافات، وقياس المواقيت، الأزمنة/ السنة/ الشهر/ ساعات النهار وسنوات الحكم، وقياس الأحجام، وتقرأ فيها عن قياس المثلث والمثلث قائم الزاوية ... إلخ.

ونجد فى كتاب "الأصول الشرقية للعلم اليونانى" تأليف د/ محمود محمد على محمود عرضا وافيا للنشاط العلمى فى بلدان الشرق القديم والأصول الشرقية للرياضيات اليونانية وللطب اليونانى والفلك اليونانى. ويتسع أفق البحث فى هذا الكتاب ليقدم لنا عرضا وافيا للنشاط العلمى قديماً فى مصر وبابل والهند والصين، ويبين أنه سابق تاريخيا على الإبداع الإغريقى.

وحيث إن موضوعنا هنا ينصب على إبداعات فيثاغورس الرياضية أو المنسوبة إليه باعتبارها دون سوابق تاريخية مما يمثل افتراءات على حضارات شعوب الشرق فإننا نقتبس من هذا الكتاب المهم بعض الفقرات التى تدعم ما ذهبنا إليه فى كتابنا الحضارة المصرية صراع الأسطورة والتاريخ. ويقول فى فصل عنوانه "الأصول الشرقية للرياضيات اليونانية"

المنهج الرياضى عند القدماء المصريين :

"كشفت برديات عديدة لمصر الفرعونية عن مدى تقدم المصريين القدماء فى عدد من العلوم، فى الطب والفلك والرياضيات وغيرها " وخص بالذكر عدداً من البرديات المعنية بالعلوم الرياضية منها: بردية أحمس والمعروفة باسم بردية ريند Rhind وهو

العالم الذى اكتشفها عام ١٨٥٨، وتحتوى بردية أحمس على خمسة أبواب موزعة على النحو التالى: الباب الأول فى العد وكتابة الأرقام، والثانى فى القواعد الأربع، والثالث يحتوى على الكسور، والرابع عن الجذر التربيعى وحل معادلات الدرجة الأولى والمتواليات، والباب الخامس عن الهندسة.

ويشير د/ محمود محمد على محمود إلى وجود برديات أخرى تم اكتشافها حديثا تدل على تقدم المصريين فى الرياضيات مثل بردية كاهون Kahoun وبردية برلين وبردية موسكو وبردية إخميم... ويضيف "جمع العالم "أرشيبالد" مع آخرين حوالى ست وثلاثين بردية خاصة بالرياضيات المصرية قديما، وهى مكتوبة باللغات المصرية والقبطية واليونانية، ويمتد تاريخها من عام ٣٥٠٠ ق.م إلى عام ١٠٠٠م، ويؤكد العلماء الذين درسوا تلك البرديات أن المصريين القدماء كانوا على معرفة بطرق الحساب والهندسة وقياس الأحجار، وكذلك الهندسة الوصفيه".

ويضيف قائلاً "ص ١١٥" :

"كما تحتوى البرديات الرياضية المصرية أيضًا على معلومات رياضية أخرى منها أن المصريين تمكنوا من حساب أطوال الأوتار فى الدائرة، وعرفوا المثلثات وأشباه المنحرف والأهرامات الناقصة وقانونها وأحجامها ونصف الكرة وكيفية إيجاد مساحة سطوحها، كما عرفوا مسائل دقيقة تتعلق بالمستطيلات وخواصها، وفى الجبر معادلات الدرجة الأولى والثانية على الصورة س^{٢} + ص^{٢} =١٠٠، ص = ٣/٤ فتكون س = ٨، ص = ٦، وتتصل هذه المعادلة اتصالا مباشرًا بالحل الهندسى للعلاقة بين الأعداد ٥، ٤، ٣ فى مثلث قائم الزاوية، والتى صاغ منها فيثاغورس نظريته المعروفة باسمه فى حساب المثلثات".

وينفى د/ محمود زعم الغرب بأن العلوم الرياضية عند قدماء المصريين، والشرق بعامة، تأسست على مجموعة من قواعد عملية ذات طابع تجريبى أو نفعى عملى دون تأمل نظرى والتماس لبرهان. وأوضح أن العلوم الرياضية عند المصريين القدماء

تأسست أيضًا على قواعد نظرية وارتقاء عقلى وتقدم فكرى مما يكشف عن حب للاستطلاع الهندسى بدليل وبرهان ... ويستشهد هنا بما قاله عالم الرياضيات الأمريكى كاربنسكى عندما يقول:

"وصل المصريون حوالى عام ٢٠٠٠ ق.م إلى درجة عالية فى الرياضيات من الناحية التحليلية، ويرجع الفضل فى ذلك إلى كهنتهم الذين كانوا يجدون فى دراسة الرياضيات والبحث فى موضوعاتها لذة ومتعة. ويزعم البعض أن اهتمام المصريين بالرياضيات اقتصر فقط على الناحية العملية، وأنهم لم يبلغوا شأوا عظيما فى النظرى منها، وقد أشار هيرودوتس إلى ذلك... ولكن من دراسة بعض الآثار المصرية التى وصلت إلينا عن طريق المحفوظات الرياضية تبين خطأ هذا الزعم، وتوضح بجلاء أن الاهتمام لم يقتصر على الناحية العملية فحسب، بل تعداه إلى النظرى منها".

ويوضح الكتاب أيضًا استنادا إلى عديد من المراجع العلمية أن النظرية المنسوبة إلى فيثاغورس كانت معروفة لدى البابليين والصينيين فضلاً عن إبداعات أخرى تميز بها هؤلاء وأولئك مما يؤكد التكامل الحضارى للإنسانية معًا. وهذا هو ما ذهب إليه مؤلفا كتاب "التناغم الإلهى" إذ يقولان: "وطبيعى أننا جميعًا نذكر اسم فيثاغورس مقترنا بنظريته الهندسية الشهيرة، ولكن هذه النظرية التى تحمل اسم فيثاغورس كانت معروفة فى بابل قبل أن يبرهن عنها بألف عام".

يمثل كتاب "التناغم الإلهى" جهدًا غربيًا متميزًا على الطريق لأنصاف موضوعية التاريخ، يضاف إلى جهود العديدين ممن انتقدوا انحياز الغرب وانقلابه على ذاته والتزامه أيديولوجية المحورية الغربية التى تعنى انتحال إنجازات حضارة الآخر مثلما تعنى غطرسة الغرب فى النظر إلى الآخر التى تلخصها عبارة الغرب وبقية العالم الآخر West and The Rest . ويمثل الكتاب أيضًا دعوة إلى أصحاب الشأن الحضارى أعنى المفكرين وعلماء الآثار والتاريخ المصريين لإنصاف ذاتهم، إعادة كتابة تاريخهم من منظور موضوعى ليس انحيازًا قوميًا بل انحيازًا للإنسان/ الإنسانية عامة فى تفاعلها الحضارى وتراكم الإنجازات والقدرة الإبداعية المشتركة، وأن تؤكد مع

الآخرين فى جهودهم، قاعدة علمية إنسانية بسيطة، وهى أن الإنسان فكرًا وسلوكًا هو ثمرة ومحصلة حياته الاجتماعية واتصالاته وتفاعلاته مع الآخر فى مسيرة ممتدة زمانا محاكاة وإبداعا. وهذا هو حال فيثاغورس الذى عاش حياة علمية/فكرية خصبة واسعة الأفق متعددة ومتنوعة المناهل مما أهله للاستيعاب والإبداع معًا.

وحرى ألا ننسى أن التاريخ حلبة صراع أيديولوجى، وليس الهدف هنا انتحال أو اصطناع تاريخ، وليس دعوة إلى ردة فى التاريخ، بل الهدف رد اعتبار لتاريخ انسلخنا عنه وصدقنا الأسطورة، وهذا شأننا قبل أن يكون شأن الآخر الغرب أو غيره من غزاة تتابعوا على أرض مصر، وإن تنوعت أساطيرهم. لعل هذا يكون منهجنا فى التعليم المدرسى لغرس الثقة فى نفوس أجيال المستقبل.

شوقى جلال

فاتحة

ربما يكون فيثاغورس هو الأقل شهرة وذيوعا دون جميع مؤسسى التراث الغربى، وهذا أمر مؤسف نظرا لأن فهمنا لفيثاغورس ولدوره الفكرى فى حياتنا أمر يتجاوز حدود الاهتمام التاريخى، وطبيعى أن تقييم أثر هذا العالم والصوفى والفيلسوف الأول إنجاز جوهرى إذا ما شئنا أن نعلو عن مستوى الفهم السطحى لأصولنا الفكرية.

يحتل فيثاغورس مكانه كواحد من الينابيع الأولى لثقافتنا، ويكفى أن تعرف أن أفكاره التى أطلقها كانت حسبما رأى دانييل بورستن من أهم القوى الأكثر فاعلية فى التاريخ الحديث، وتجسدت فى كثير من العمد التى يرتكز عليها العالم الحديث. ونخص بالذكر هنا أن وجود العلم كان فقط رهن التحقق من أن الأشكال الرياضية الذاتية لها صداها فى سلوك العالم الخارجى – وهو تصور فيثاغورى، وإن حلم قيام عالم يسوده السلام – أعنى بقاء كوكبنا فى عصر نووى – هو حلم تنبأنا به تأسيسا على أفكار فيثاغورس عن الأخوة العالمية التى بذل فيثاغورس جهدا كبيرا فى صياغتها، وإن لم يكن هو الوحيد فى ذلك. وإن تعاليم فيثاغورس التى تبدو ظاهريا بعيدة عنا زمانيا إلا أنها تسهم معنا فى فهم أن نظرتنا الراهنة إلى العالم، والتى يذهب بنا الظن إلى أنها ستكون لها السيادة والهيمنة على الكوكب إلا أنها من نواح كثيرة نظرة عابرة زائلة، وأن مآلها إلى زوال مثل غيرها سابقة عليها.

ويسود ميل عام بين القراء المعاصرين يتمثل فى النظر إلى فيثاغورس باعتباره، فى أحسن الأحوال، شخصية تاريخية غريبة الأطوار له أفكاره التى لا صلة لها بالحياة العملية إلا ما ندر، ويراه البعض، فى أسوأ الأحوال، كما قال وليام إروين تومبسون،

عرافا مخبولا سليل عقائد الشرق الأدنى، ولكن دراسات علمية حديثة العهد لشخصيات مثل إريك نيومان وكين ويلبر يقترحون تصورا تطوريا لتاريخ الأفكار جاء تاليا مع ازدهار النماذج الباطنية للوعى، ويوحى مثل هذا السياق بأن تعاليم فيثاغورس وثيقة الصلة جدا بفهمنا ليس فقط لمنابع ثقافتنا، بل وأيضا بفهم مآلها إلى أين تمضى أو تشير إلى مسارها المنشود. بيد أننا لكى ندرك قيمة وقدر هذا كله يتعين علينا بداية أن نفهمه فى ضوء لغة ثقافتنا الحديثة.

ولا يذهب بنا الظن إلى أن قراءة هذا الكتاب سوف تفضى إلى الكشف عن جماعة سرية، أمسك أعضاؤها عن تناول اللحم والبقول، ونذروا أنفسهم لدراسة الهندسة وممارسة أسرار خاصة بهم، ولكن الاستجابة الأثيرة لدينا أن نفهم أهمية تعاليم فيثاغورس بالنسبة لعصره، ثم نلتمس المعارف التى يمكن أن يكون لها أثرها العميق الماثل على عصرنا نحن.

ونعرف أنه مع فجر القرن العشرين أعلن العلماء أن فهمنا للعالم أوشك على الاكتمال، وقالوا لم يبق سوى مشكلة أو مشكلتين صغيرتين فى الفيزياء يلزم حلهما، وتتعلق إحدى هاتين المشكلتين بإشعا ع الجسم الأسود وقد حلها ماكس بلانك. بيد أن الحل الذى قدمه أصبح الأساس لبناء ميكانيكا الكم "الكوانطا" التى أزاحت جانبا تقريبا جميع الفروض الأساسية للفيزياء، وأطاحت معها بفهمنا للعالم.

ومن يدرى ربما بعد مائة عام أخرى نواجه موقفا مماثلا. إن النظرة الميكانيكية التى ظهرت فى القرن السابع عشر قد أكملت فترة هيمنتها، وينبع هذا المنظور، كما أوضح المؤرخ هوغ كيرنى، من منظومة واحدة من بين ثلاث منظومات رئيسية للفكر التى هى امتداد للفكر الإغريقى، ووصلت إلى العالم الحديث، وتيسر لكل منها السيطرة على نظرتنا إلى العالم من زوايا مختلفة من تاريخنا، إذ تبنى عالم الفكر فى العصر الوسيط الأوربى النهج الأرسطى أو لنقل العضوى فى التعلم، بينما شهد عصر النهضة إحياء للنظرة السحرية إلى العالم، والتى ترجع فى أصولها إلى الأفلاطونية الجديدة – بما يعنى أنها ترجع إلى أفلاطون، والذى يرجع فى النهاية إلى فيثاغورس.

وعلى الرغم من هيمنة الفكر الميكانيكى فى عالمنا المعاصر، فإنه لا تزال بقية من التراث السحرى باقية فى صورة قضايا عديدة، والتى لا تبدو حلولها ممكنة فى سياق نظرة ميكانيكية خالصة عن العالم.

إذ إننا، كمثال، لا نزال بعيدين عن فهم ما سمِّى "الفعالية المفرطة للرياضيات فى العلوم الفيزيائية"، ونحن بالمثل على الرغم من اعتيادنا الاستماع للموسيقى بقدر يفوق كثيرا ما كان سائدا لدى جيل سابق ... فإننا لم نعد نعرف كيف لنا أن نقرأ ما هو مكتوب. لقد نسينا معنى الحروف. ويمثل الوعى المكون الأول الرئيسى للموسيقى وهو الرياضيات، بل وكل الظواهر الأخرى فى الحقيقة، واكتشفنا أخيرا أننا لا نعرف ما هو الوعى.

وقد تبدو لنا مثل هذه المشكلات أمورًا ملتبسة، ولكنْ ثمة دليل على أن حسمها ذو قيمة[١] عملية. وحرى بنا أن نذكر أن جماعة تحمل اسم "نادى روما" أصدرت دراسة فى عام ١٩٦٨ تضمنت ما سموه "الإشكالية العالمية" - وهى مركب من المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والبيئية التى تهدد بخطر تدمير كوكبنا. وانتهت إلى نتيجة مماثلة جماعة من المفكرين المعنيين بالدراسات المستقبلية فى معهد ستانفورد للبحوث، وذلك فى دراسة تاريخية أخرى، وتفيد هذه الدراسة أنه إذا كانت النظرة الراهنة إلى العالم وإلى التكنولوجيات الداعمة لها قد حققت فوائد جمة عند أحد المستويات إلا أنها أضحت عقيما وهى مسئولة الآن عن خلق المشكلة العالمية الأكبر، ويرى أصحاب هذه الدراسة أن الأمل ضئيل فى الوصول إلى حل. ونلحظ أن توصيتهم لا علاقة لها بالاقتصاد أو التكنولوجيا أو السياسة، وإنما تعلق الأمل فى استعادة ما سماه الدوس هكسلى " الفلسفة الدائمة Perennial Philosophy، وتعنى فهما للعلاقة بين أنفسنا والعالم، والتى تمثل جذر كل حركة كبرى دينية أو فلسفية. وكم هو مهم، فى هذا السياق، أن ندرك أن حياة فيثاغورس وأعماله هى أحد المصادر الأولى للمنظور العلمى السائد فى العالم المعاصر، والذى يشكل الأساس لمؤسساته المهيمنة، ويعتبر هذا المصدر واحدًا من أهم عناصر الفلسفة الدائمة وعنصرا مؤسسا للتراث السحرى.

ويتعين علينا استعادة الإيمان بهذه الروح التى أسهمت بقدر كبير فى تكوين نظرتنا إلى العالم إذا ما شئنا لحضارتنا أن تزدهر. وواضح هنا أن الخيار واحد دون الكثير، ويوجزه عنوان كتاب ألفه الراحل بوك منستر فوللر، المفكر المستقبلى الفيثاغورى، وهو "اليوتوبيا أو النسيان". وقد كتب المؤلفان كتابهما هذا فى ضوء الموقف.

وجدير بالذكر أن حياة فيثاغورس وفكره ليسا معروفين لنا على نحو أفضل مما هما عليهما الآن لأسباب عدة من بينها الصعاب التى تواجهنا عند محاولة إعادة صياغتها واستكمالها. ونعرف أن فيثاغورس يمثل حلقة فى سلسلة من التعاليم تعود أصولها إلى العصور القديمة تمتد ابتداء من أورفيوس وديونيسيوس عبر أفلاطون وأفلوطين وصولا إلى العالم الحديث. ولقد عاش فى لحظة مفصلية ضمن مسيرة هذا التراث، عند النقطة التى اجتاز فيها هذا التراث العتبة الفاصلة بين الميثولوجيا أو الإطار الثقافى الشفهى المعتمد على الأسطورة وبين التاريخ، والعتبة الفاصلة بين عصر الشفاهة وعصر الكتابة. وهكذا نراه يجمع بين التاريخ وبين الأسطورة، أو لنقل ما قاله إى. إم. كورنفورد إنه مثل معاصره بوذا "أحد أولئك القديسين الذين عرف عنهم التاريخ أقل القليل لأن حياتهم استحالت إلى أسطورة.

بيد أن عدداً من الكتاب الأوائل تركوا لنا معلومات تحكى أطرافا عن حياة فيثاغورس، ونذكر من بين هؤلاء فورفيريوس (٢٣٣-٣٠٥م) وهو فيلسوف من أتباع الأفلاطونية الجديدة وأحد تلامذة أفلوطين، وهناك أيضا ياميليخوس (٢٥٠-٣٢٥م) تلميذ فورفيريوس، ونذكر أيضا الكاتب الرومانى ديوجينيس لإيريتوس الذى ازدهر أيضا خلال القرن الثالث الميلادى، ويعكس عدد من محاورات أفلاطون وبشكل مباشر فكر فيثاغورس، وكتب أرسطو تحديدا عن ذلك. وجدير بالذكر أن شذرات من تعاليم فيثاغورس لا تزال باقية.

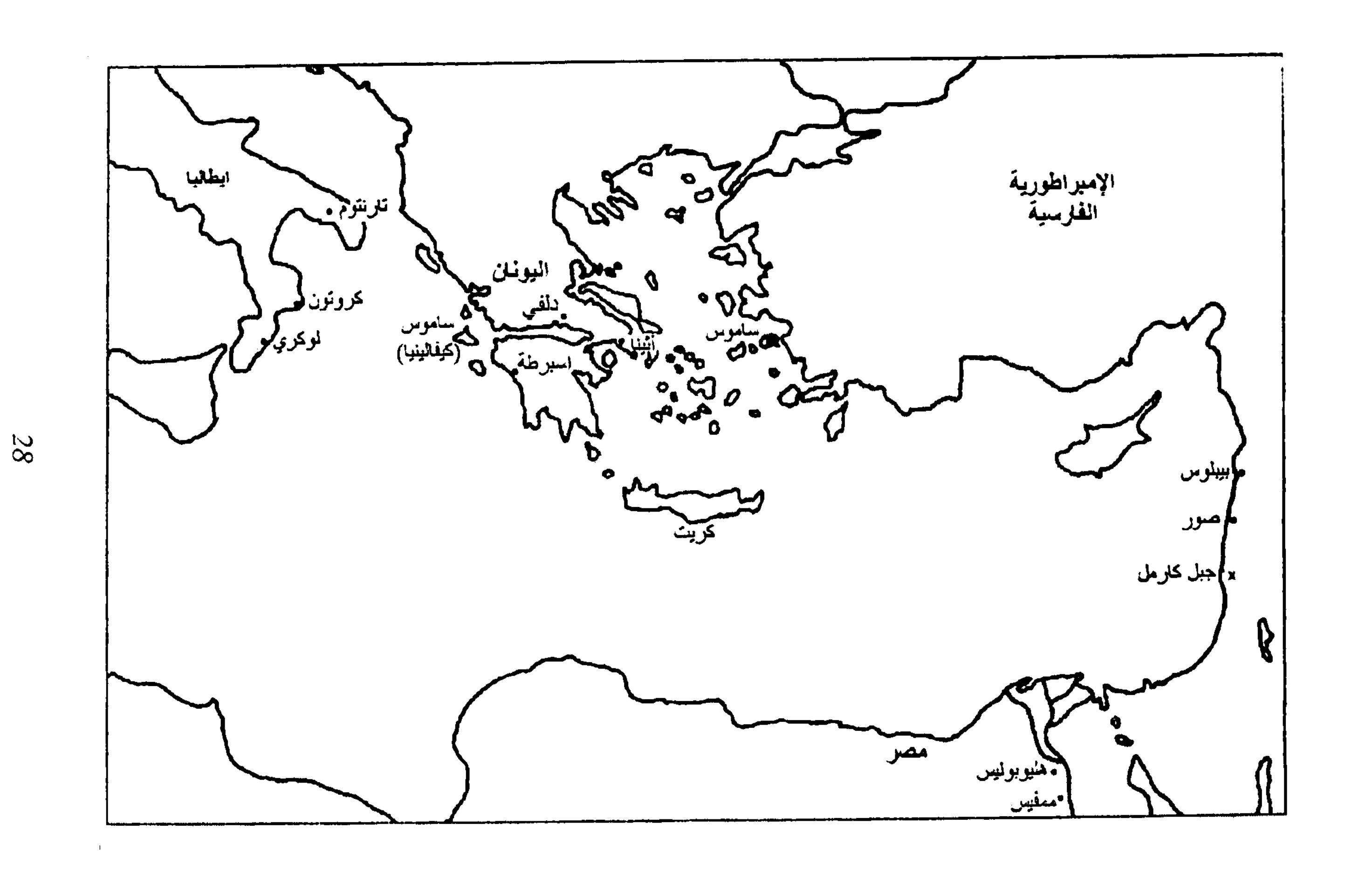
وتنبنى سردية حياة فيثاغورس وفلسفته فى كتابنا "التناغم الإلهى" على هذه المصادر التى هى أقدم المصادر المتاحة لنا، والتى اعتمدت بدورها على أعمال يعود تاريخها على الأقل إلى أرسطو فينوس فى القرن الرابع ق.م.، ولقد كان كتاب

يامبليخوس وعنوانه "عن حياة فيثاغورس" هو الأكثر فائدة، وهو الأكثر استفاضة فى سرد حياة فيثاغورس دون الروايات الباقية لدينا. ولا ريب فى أن المطلعين على هذا العمل سيرون أن القسط الأكبر من كتاب "التناغم الإلهى" جرت مواءمته مع هذا الكتاب، مثلما جرت مواءمته مع الكتابات السابقة. وقاومنا غواية الكتابات التالية فى تاريخ متأخر، ولم يكن هدفنا فقط بذل جهد وصولا إلى صورة عن فيثاغورس أقرب ما تكون إلى صورته فى المصادر الأولى، بل وأيضا لكى ننأى بأنفسنا عن الزلل فى تراث أشبه بالأفعى الأسطورية "الهيدار" ذات الرءوس المتعددة وتوقعنا فى تأملات أشبه بالمضاربات عند كل منحنى جديد. وتمثل حصادنا النهائى فيما يشبه قصة الخلق فى محاورة أفلاطون "طيماوس، حيث توصلنا إلى الرواية المرجحة التى تكشف عن التأثير الرئيسى فى ثقافتنا.

هامش عن التسلسل الزمنى للأحداث

جانب من الصعوبة فى إعادة بناء صورة حياة فيثاغورس يتمثل فى التوفيق بين تواريخ الأحداث الرئيسية الواردة لدى المؤرخين الأوائل الذين أرخوا لحياته. مثال ذلك أن يامبليخوس كتب أن فيثاغورس، غادر بيته فى ساموس وهو فى الثامنة عشرة من عمره بسبب تولى بوليكريتس Polycrates الحكم وهو من أشهر الحكام الطغاة فى اليونان القديمة، ولكن التواريخ التى ذكرها يامبليخوس فى مواضع أخرى تشير إلى أن فيثاغورس مولود فى عام ٥٦٩ ق. م وإذا صح هذا فإن معناه أنه بلغ الثامنة عشرة من العمر قبل تولى بوليكريتس السلطة بعشر سنوات على الأقل، وتصادفنا مفارقات مماثلة فى السرد الزمنى للأحداث فى كل الروايات القديمة .

ولقد أثرنا الإبقاء على التأريخ الزمنى للأحداث، كما ورد عند يامبليخوس، والذى حددته مصادر أخرى قديمة بدلا من اللجوء إلى اختيارات تعسفية عن حياة فيثاغورس بغية التطابق مع نموذج تخمينى. وانتهينا بذلك إلى رواية، وإن بدت إشكالية، إلا أنها تشتمل على جميع العناصر المهمة فى أسطورة فيثاغورس، والتى انتقلت عبر خمس وعشرين قرنا منذ تاريخ وفاته. وحرى بمن شاء من القراء الاستزادة ومعرفة الكثير عن مشكلة تحديد تواريخ دقيقة عن الأحداث التى عرفتها حياة فيثاغورس أن يلجأوا إلى أعمال كل من والتر بيركيرت وجيه، إيه. فيليب، وكيرت فون فريتز، والتى أوردناها ضمن المراجع.



ايطاليا
تارنتوم
كروتون
لوكري
اليونان
دلفي
ساموس
(كيفالينيا)
اسبرطة
أثينا
ساموس
كريت
الإمبراطورية
الفارسية
ببيلوس
صور
جبل كارمل
مصر
هليوبوليس
ممفيس

القسم الأول

رحلة البحث عن المعرفة

ميلاد فيثاغورس

تتبع مؤرخو السير الذاتية القدماء سلسلة نسب فيثاغورس حتى أنكايوس وهو الملك الأسطورى على جزيرة اسمها ساموس مقابل شاطئ اليونان. ونظراً لما تحلى به الملك أنكايوس من عدل وكرم وقوة بدنية اعتبره رعاياه ابنا للرب زيوس. وخرج أنكايوس فى رفقة ياسون فى أثناء رحلته إلى البحر الأسود بحثا عن الفراء الذهبى،(٢) وكان أنكايوس من حيث القوة هو الثانى بعد هرقل بين ملاحى أرجو.

وحدث ذات يوم أن دعت نبوءة أبوللوفى دلفى أنكايوس لكى يغادر وطنه، ويبحر شرقا عبر بحر إيجه وجمع ركابا من أرض اليونان للانضمام إليه فى سفره وتكوين مستعمرة جديدة، وعمدوا إلى استيطان جزيرة وأطلقوا عليها اسم ميلامفيلوس أى أرض الأوراق السوداء ولها عاصمة اسمها ساموس تيمنا باسم موطن أنكايوس .

وتؤكد الشعائر والطقوس الدينية التى كانت تجرى هناك أن مستعمرة ساموس القديمة المقامة فوق جزيرة كبيرة تقع قرب آسيا الوسطى، وهذا ما تؤكده أيضا اللهجة المميزة لشعبها، والتى كانت سائدة فى العصور القديمة وهى اللهجة التى وفدت، كما هو واضح، مع مهاجرين أتوا من الغرب .

وكانت بيتيس أم فيثاغورس من نسل أنكايوس هذا مباشرة، ولكن أباه ويدعى مينساركوس لم يكن إغريقيا بل فينيقيا من بلدة صور، وكان تاجرا غنيا له علاقات تجارية فى كل أطراف المتوسط، تمتد من سوريا إلى إيطاليا، ومنحته ساموس صفة المواطنة لها نظير هباته من الطعام والمؤن لشعب ساموس فى أثناء فترة مجاعة.

واحتفظ شعر فى ساموس بأسطورة تفيد أن فيثاغورس هو فعلا ابن أبوللو، رب الموسيقى والنبوءة والتعلم عند الهللينيين وتناقل أتباعه هذا الشعر عبر القرون، وقد يكون من المهم تفسير نشأة هذا التراث الراسخ وإن كان زائفا.

وأبحر مينساركوس إلى إيطاليا فى رحلة تجارية، وذلك عقب عدة سنوات من زواجه وتأسيس بيت له فى ساموس، وتوقف فى رحلته أولا عند دلفى ليستفسر عن نبوءة أبوللوفى بيتيا بشأن رحلته، وأبلغه الكهنة هناك أن رحلته ليست ناجحة فقط، بل إن زوجته أيضا التى لم تبد عليها بعد أعراض حمل، سوف تهديه ابنًا عند عودته، وقالوا إن هذا الابن سوف يبز كل الآخرين ممن سبقوه دون استثناء حكمة وتراحما، وسوف يقدم للبشرية منافع لا حصر لها.

وحين تحقق مينساركوس من أن أبوللو أعلن، دون سابق إشارة عن ميلاد هذا الطفل الذى لا نظير له عزم على تغير اسم زوجته بارتينيس، إلى بيتيس وأن يطلق على ابنه اسما تكريما وتيمنا بالرب الذى تنبأ له به، وسرعان ما جاء إلى الدنيا الابن الثالث لكل من مينساركوس وبيتيس، واتخذا له اسم فيثاغورس اعترافا بأنه سوف يتحدث بلغة مجازية مع العامة عن بركات الرب أبوللوفى دلفى، ويستحيل علينا تحديد تاريخ الميلاد بدقة، وإن كان التراث العام يحدده بعام ٥٦٩ق.م.

وعاشت الأسطورة على لسان بعض أتباع فيثاغورس التى تقول إن أبوللو أغوى بيتيس، وحاول إخفاء هذه الواقعة بأن تنبأ بأن ميلاد الطفل ربما لا يكون حقيقة، ولكن من المحتمل أن فيثاغورس، حسب الأسطورة، عاش قبل الميلاد وسط رجال ونساء فى رحاب أرباب خالدين. ولا ريب فى أن تعاليمه وأسلوبه فى الحياة يبرر ذلك.

السنوات الباكرة

عقب ميلاد فيثاغورس أقام منيساركوس معبداً لأبوللو، وحرص على أن يتلقى ابنه أفضل تعليم ممكن، وحرص كذلك على تلقين ابنه كيفية العزف على القيثارة وتأدية الألعاب الرياضية والرسم، وذلك خلال سنوات الطفولة الباكرة. واصطحبه معه فى رحلاته إلى الخارج ضمن البعثات التجارية إلى مصر والمشرق واليونان وإيطاليا، حيث استوعب أخلاق وآداب السلوك لأبناء الطبقات الغنية فى بلدان المتوسط قديما.

وأبدى الصبى فيثاغورس شغفا قويا بالتعلم، وما إن شب عن الطوق حتى ألحقه أبوه بأسمى المدارس مكانة فى كل جزر إيونيا، وكان أول من شمله برعايته لتعليمه هو فيريسايدس السيروس وهو من أول المعلمين فى العالم الكلاسيكى الإغريقى الذى اتجه إلى تسجيل أفكاره كتابة.

وتلقن فيريسايدس أسرار ديلوس فى الجزيرة السرية التى وضعت فيه الربة ليتو مولودها أبوللووربة الأرض أرتيمس، وكان معبد أبوللو هو الثانى من حيث المكانة والضخامة بعد معبد دلفى فى العالم اليونانى، وها هنا درس فيريسايدس فنون أبوللو عن الموسيقى والعرافة والطب والفلسفة. وقيل إن فيريسايدس ألف بين عناصر هذه المعتقدات السرية لدى الكهنة الفينيقيين وبين هذه التعاليم، واستحدث بذلك رؤية جديدة عن العالم التى جمعت بين أفكار من الأساطير ومن العلم معا. واشتغل فيرسايدس بتعليم خلود الروح وابتكر أرباباً جدداً، وقدم تفسيرات جديدة عن أرباب قديمة لكى يفسر عمل الطبيعة، وحقق شهرة واسعة فى كل أنحاء المتوسط باعتباره مؤلف أول عمل يونانى مكتوب نثرا مع قصة رمزية تحمل اسم "الكهوف الخمسة".

ونرى فى هذه السردية أن زاس الرب[٣] الأب ينسج عباءة عالم الشهادة فى صورة هدية زفاف لعروسه كتونيا، وصدرت إلى الوجود كل العناصر المنتظمة من رحم هذين الزوجين ورفيقهما كرونوس، وأفاد فيريسايدس فى تعليمه أن هذه الشخصيات هى قوى أبدية عاكفة أبدا على خلق العالم.

واستطاع فيثاغورس نتيجة لدراساته على أيادى معلمين لهم مثل هذه الشهرة، وبفضل مواهبه الطبيعية الذاتية أن يلفت الأنظار وهو لا يزال فتى صغيرا، وبدأ البعض يظن أنه ابن أحد الأرباب وعزز هذه الشهرة بفضل ما تحلى به من ضبط للنفس وتواضع وثبات على الهدف، وكذا حرصه على مظهر جسده وصحته. لم يحدث أبدا أن استبد به الغضب وخرج عن طوره أو أن استسلم للعبث والرعونة أو القسوة؛ ولهذا راج الحديث عنه باعتباره نجما ساطعا بين مدارس إيونيا، وفاقت شهرته شهرة أعظم الأكاديميين الفلاسفة فى عصره - مثل طاليس الميلى وبياس من بريين، وبلغت شهرته كل مدن الإغريق فى آسيا الوسطى، وأطلق عليه الناس اسم "الساموسى ذو الشعر الطويل"، ويشير هذا الوصف إلى أسلافه الفينيقيين، حيث كان الشعر الطويل عرفا سائدا بين الرجال.

الدراسة فى إيونيا

صعد الطاغية بوليكريتس إلى سدة السلطة فى ساموس وقتما بلغ فيثاغورس الثامنة عشرة من العمر عقب وفاة أبيه بفترة قصيرة. ونعرف أن بوليكريتس ابن طموح لأسرة من كبار عوائل ساموس وقائد عسكرى، واستطاع أن يحكم قبضته على الدويلة بعد أن قام بنفى وقتل أخواته عاقدا العزم على إقامة إمبراطورية بالقوة المسلحة، وتنبأ فيثاغورس أن أسلوبه الدراسى فى الحياة سوف يضطرب ويفسد فى ظل هذا الحكم، ولذلك عزم على الرحيل من ساموس، ورأى قبل الرحيل أن يفيد من اتصالات أبيه ببلاط بوليكريتس بالحصول على خطاب توصية لفرعون مصر أحمس الذى وقف إلى جانب الطاغية فى حربه التى انتصر فيها على الفرس.

وحمل فيثاغورس الخطاب معه، وأبحر ليلا، وترك الجزيرة سرا، فى رحلة يجوب خلالها جميع مراكز الدراسات العلمية والقدسية فى شرق المتوسط، ولم تطأ قدماه أرض ساموس ثانية طوال ثمان وثلاثين عاما، وقام أولا بزيارة لفيريسايديس السايروسى ثم سافر إلى ميليتوس على ساحل آسيا الوسطى، حيث درس فى مدرستى طاليس وإنكسماندر، وهما فيلسوفان أفاد ببحوثهما العلمية التى قادتهما إلى رفض أى تفسيرات للطبيعة تعتمد فقط، على أرباب الأوليمب. وكان طاليس، مثل فيثاغورس، من سلالة فينيقية. ويعتبر أول فيلسوف طبيعى فى بلاد الإغريق ولم يتلق دراسته فى المدارس والمعابد الإيجية فقط، بل درس أيضا فى معابد ومدارس بابل ومصر، ونعرف أنه فى مصر برع فى الهندسة والرياضيات. بيد أن دراسته للتنجيم وحركات الأجرام السماوية فى بابل مكنته من التنبؤ بدقة مجالات الكسوف والخسوف ومعرفة عائد الحصاد، ولم تقتصر معرفته على القوانين الرياضية التى تحدد سلوك

العالم الحسى، بل عرف أيضا بالوجود الكونى للقوى الروحية، وأثبت أرسطو تعاليمه التى تقرر أن جميع الموجودات مشبعة بالأرباب كما، وأن مصدرا قديما آخر يعزو إليه قوله "الرب هو عقل العالم، والكل مشبع بالأرواح والنفوس".

ويفيد التراث أن أنكسمندر، أحد تلاميذ طاليس، وأول إغريقى يفسر أصل الإنسان والطبيعة عن طريق الالتزام الصارم فى تطبيق الملاحظة وإعمال العقل. وعلّم تلاميذه أن العالم المرئى لابد وأنه تطور عن "اللامحدود"، الإله الأوحد، والجوهر الخالد المحيط والموجه لكل الموجودات. ورأى أن هذا الجوهر فى بداية الزمان انقسم إلى أضداد وخلق الأرض والماء، وصدرت الأسماك من هذه العناصر، وتطور الإنسان من السمك، ووضع أنكسمندر أول خريطة للعالم المعروف المأهول، وتضمنت تعاليمه أن الأجرام السماوية التى تدور فى أفلاك سماوية متحدة المركز.

وتمثل دراسة فيثاغورس على أيدى هؤلاء الرجال الأساس لبحوثه لمعرفة طبيعة عالم الشهادة والغيب، وعرف هذان الفيلسوفان ما يتحلى به من مواهب، وكشفا له أدق أسرار مذهبيهما، واحتضن طاليس بخاصة فيثاغورس. ونقل إليه كل ما يستطيع من معارف، وحثه على السفر إلى مصر للدراسة على أيدى كهنتها فى ممفيس الذين تولوا مسئولية رعايته وتعليمه قبل جيل مضى. وأوضح طاليس أنه لا يستطيع اصطحاب فيثاغورس فى رحلته إلى مصر نظرا لكبر سنه وتدهور صحته، ولكنه كان على يقين من أن تلميذه الذى لا يزال فتى إذا ما تسنى له امتلاك ناصية التعاليم المصرية فى مصر فسوف يبز كل من سبقوه قداسة وحكمة. وتعلم فيثاغورس الكثير على يدى طاليس، ولكن لعل أهم شىء تعلمه هو قيمة الزمن فى البحث عن المعرفة. وتأسيسا على هذه القناعة ووعيه بطبيعة تكوينه البدنى أمسك تماما عن تناول النبيذ واللحوم طوال بقية حياته مكتفيا فقط بشرائح معتدلة من طعام بسيط سهل الهضم؛ ونتيجة لذلك قصرت فترات نومه، وتحلى بذهن حاد، وصفاء نفس، وصحة بدنية ممتازة.

السفر إلى مصر

أبحر فيثاغورس من ميليتوس متجها إلى مصر، وتوقف أول مرة فى الطريق قبالة ساحل فينيقيا، سأل هنا عن المسئولين عن رعاية الكثير من المزارات والمدارس المحلية مثلما بحث عن رجال الدين من أتباع النبى موسى، وتلقن أسرار مدينة بابل وصور، كما شارك فى طقوس الرب بعل والربة عشتار، وتعلم هنا تفسير الأحلام واستخدام البخور فى العبادة، واستكمل معرفته بالمبادئ الأساسية للشعائر. ولم يشأ فيثاغورس الإحاطة المعرفية بهذه الأفكار والممارسات كمشاهد خارجى أجنبى، بل باعتباره باحثا ينشد الإحاطة بكل أشكال المعرفة، عاقدا العزم على أن يشرب فى نفسه أى منظومة فكر يمكن أن تمضى به إلى مدى أبعد فى مسيرة بحثه عن الحقيقة.

وبعد أن تعلم فيثاغورس كل ما هو ممكن على أيدى معلمى فينيقيا اتخذ لنفسه مكانا قصيا على منحدرات جبل الكرمل للتنسك متوحدا فى مكان يضم كهوفا منعزلة، وتحيط بها البساتين والمروج والينابيع، إذ كان جبل الكرمل مركزا لحياة النسك والتعبد قرونا طويلة. وجدير بالذكر أن هذا الموقع هو موقع البشارة المعروفة فى كل أنحاء المتوسط فضلا عن أن تاريخه تضمن أيضا نبوءات الكتاب المقدس لكل من النبى إليا والنبى ليشع فضلا عن العبادة الصوفية لكل من بعل وزيوس. قضى فيثاغورس أيامه هنا فى تعبد وتأمل منتظراً أن تحين أى فرصة تهيئها له الأرباب ليواصل رحلته إلى مصر.

وتصادف أن رست سفينة لتاجر مصرى عند الشاطئ بالقرب من جبل الكرمل للتزود بالماء، ورأى فيثاغورس فى هذا نعمة إلهية تمد له يد العون وتهديه فى رحلته، ومن ثم نزل من كهفه إلى الشاطئ، وسأل البحارة عما إذا كانوا يعتزمون العودة

مباشرة إلى أرض الوطن. أجاب البحارة بـ (نعم)، ورحبوا باصطحابه معهم وإن أضمروا فى أنفسهم خطة تهدف إلى بيع الغريب فى سوق النخاسة عند العودة.

بيد أن هذه الخطط تغيرت بعد أن شهد البحارة السلوك الغريب لفيثاغورس فى أثناء الرحلة، ولحظ أكثرهم فطنة وحكمة شيئا خارقا للطبيعة من الصورة التى ظهر بها عندما رسوا عند جبل الكرمل. ذلك أنه اجتاز بسهولة ويسر ممرا شديد الوعورة والخطر ابتداء من قمة الجبل دون أن ينظر أبداً إلى الوراء ودون أن يبدو،عليه أى تردد عند مواجهة صخور شديدة الانحدار أو كتل صخرية ضخمة تسد الطريق أمامه. زد على هذا أنه ما إن وصل إلى القارب لم يقل أكثر من عبارة "هل طريقكم إلى مصر؟" وحين أجابوا بـ (نعم) صعد فى صمت وهدوء إلى ظهر المركب، وظل طوال الرحلة جالسا فى مكانه ساكنا صامتا لا يتدخل إلا نادراً فى شئون الحياة معهم. ولزم فيثاغورس موقعه على مدى يومين وثلاث ليال لا يغير مكانه، جالسا فى اعتدال دون طعام أو شراب أو نوم. ولحظ البحارة علاوة على ذلك، وعلى النقيض من خبراتهم فى رحلاتهم السابقة، أن سفينتهم تمضى فى رحلتها بسرعة غير معهودة ودون أى صعوبات.

واستنتج البحارة من كل هذه الظروف والملابسات أن شخصية بها قبس من ألوهية تصحبهم فى سفرتهم. كانوا يعملون معا بروح تعاونية غير مألوفة، وأكملوا رحلتهم عبر بحار هادئة إلى أن رسوا على الشاطئ المصرى دون أن يعكر صفو رحلتهم حادث طارئ. وهنا أعان البحار فيثاغورس الذى نال منه الضعف على النزول إلى البر، وصحبوه حتى الشاطئ بعيدا وعندها، أقاموا مذبحا أمامه، وقدموا إليه أفضل ما لديهم من فاكهة كتقدمة قدسية ثم رحلوا عنه إلى وجهتهم. أصاب جسد فيثاغورس الهزال بسبب صيامه، ولذلك قبل مساعدة البحارة له وانتظر حتى تركوه وبدأ يتناول من الطعام ما يسد رمقه ليستعيد قوته، وبعد أن عاد إليه هدوؤه المألوف ورباطة الجأش وقف على قدميه متجها جنوبا على طول ضفتى نهر النيل.

معابد مصر وبابل

بدا عسير على فيثاغورس إنجاز خطته للتعلم على أيدى كهنة مصر، ذلك أن الكهنة لم يسمحوا لأحد من اليونانيين قبله سوى طاليس للدخول إلى مدارسهم، بل إنهم لم يلقنوه أسرارهم. قصد فيثاغورس أولا بلاط أحمس فى هليوبوليس فى الجانب الشمالى لوادى النيل، حيث قدم هناك رسالة التزكية التى حصل عليها فى ساموس. استقبله الفرعون بحرارة من يشعر بأنه مدين لبوليكريتس فضلا على إعجابه بالثقافة الإغريقية، وسبق أن قدم أحمس الكثير من الهدايا بسخاء كبير لعدد من المعابد والأماكن المقدسة الهللينية، ومن بينها معبد أبوللو فى دلفى والذى ساعد فى إعادة بنائه بعد أن دمره حريق، وأعجب الفرعون أيما إعجاب بحديث الباحث الشاب وسلوكه، ولذلك زوده بكل الوثائق اللازمة للسماح بإلحاقه بالمدارس الدينية.

والمعروف أن المعارف العلمية والدينية المصرية كانت وقتذاك متمركزة فى أربعة مراكز - هليوبوليس وممفيس وهرموبوليس وطيبة - ولكل منها تقاليده المميزة. والتزاما بتوصية أحمس اتجه فيثاغورس أولا إلى كهنة هليوبوليس، ونظرا لالتزام الكهنة هناك بقسم الحفاظ على تعاليم السلف وصونها، فقد أرسلوه إلى ممفيس فى الجنوب متعللين بأن مدارس المعبد هناك أقدم زمنا ومعتمدة رسميا، ولجأ كهنة ممفيس إلى الحجة نفسها، ووجهوه إلى طيبة فى جنوب وادى النيل.

وقبل كهنة طيبة التحاق فيثاغورس خوفا من غضب أحمس، ولكنهم قبل إجراء مراسم الالتحاق فرضوا عليه الالتزام ببعض الرياضات القاسية للغاية ظنا منهم أن هذا قد يصرفه عن هدفه، وعهدوا إليه بإنجاز برنامج دراسى صارم وخدمة فى المعبد فضلا عن الصوم وغير ذلك من ممارسات النسك القاسية - ويتجاوز هذا

البرنامج كثيرا المتطلبات التى يتعين على الآخرين أداؤها من الراغبين فى الانخراط فى سلك الكهنوت، وأنجزها فيثاغورس على أكمل وجه حتى إنه كسب احترامهم وتقديرهم فى نهاية الأمر، وتم رسمه ودعوته للعيش معهم وتقديم الأضاحى لأربابهم ودراسة علومهم. وهذه ميزات كبرى لم يسبق منحها لأى أجنبى. وبعد أن امتلك فيثاغورس ناصية تعاليم مدرسة طيبة تنقل بين جميع معابد مصر ومدارسها. واستطاع فى كل أسفارة أن يحظى باحترام وتقدير جميع الكهنة والباحثين الذين التقى بهم بفضل جهده الدءوب ومواهبه الفطرية، وحرص على استيعاب كل أطراف التعاليم الشفاهية وكل تفاصيل المعرفة. ويعتبر هو أول يونانى تميز بطلاقة الحديث باللغة المصرية حديثا وكتابة، وامتلك ناصية علوم الرياضيات والطب والعلاج بالأعشاب وتلقن تعاليم عن مراحل تطور الروح. وأتاحوا له دراسة العلوم المصرية الخاصة بالعمارة والموسيقى، وسمحوا له بممارسة الطقوس والشعائر الصوفية التى تعتبر من أدق الأسرار.

واجتاحت جيوش الفرس بقيادة قمبيز مصر خلال العام الثالث والعشرين من إقامة فيثاغورس هناك، وأعدم الغزاة الفرعون بسماتيك بن أحمس كما أسروا كهنة المعابد المصرية ومن بينهم فيثاغورس وأرسلوهم إلى بابل، وشهد المجوس أو هيئة كبار المسئولين عن الدين والعلم فى فارس بنهم فيثاغورس للمعرفة وترحيبه للإحاطة علما بالأفكار الجديدة.

وكانت هذه لحظة فاصلة فى تاريخ الفكر الفارسى؛ إذ قبل أقل من قرن مضى قامت حركة إصلاحية تستلهم فكر زرادشت تتحدى فترة تعدد الأرباب وترفض التراتبية الاجتماعية الجامدة للدين فى بابل، وناضل المجوس لضمان هيمنة مؤسساتهم وملائمة الطقوس والشعائر والتعاليم الأخلاقية وتأكيد الإيمان بوحدانية الإله حسب عقيدة زرادشت فى ممارستهم التقليدية. وبدأت الإمبراطورية الفارسية فى الوقت نفسه تتوسع غربا فى بابل أولا ثم فى آسيا الوسطى، وبعد ذلك فى مصر، ثم أخيرا فى أثينا، ووجدت التراتبية الدينية نفسها مرغمة على تمثل واستيعاب، ولكن بدرجات متفاوتة، الأرباب الجدد والطقوس الجديدة فى البلدان الخاضعة للسيطرة.

وألقى فيثاغورس نفسه وسط خضم من مصادر المعارف الجديدة والقديمة فى تلاقيها معا، وتقاسم مع آسريه علومه وخبراته، وتعلم على أيديهم وشارك فى طقوسهم معا مثل تناول الشراب المقدس من عصير نبات هايوما الأخضر العطرى، وكذلك المشاركة فى احتفالات التطهر الكامل قبل إشعال النار المقدسة للرب أهورامازدا (إله الزرادشتية الأوحد خالق العالم ومصدر النور والخير)، واستكمل معرفته بالعدد والتناغم والإيقاع وغير ذلك من العلوم الرياضية، وتميز أيضا فى الفلك وتفسير الأرباب حتى إنه بز طاليس من حيث القدرة على التنبؤ بالمستقبل، وقضى فيثاغورس اثنى عشر عاما فى بابل، وسمحوا له بعد ذلك بالعودة إلى وطنه ساموس الذى كان وقتذاك جزءاً من الإمبراطورية الفارسية، وسافر إلى هناك وهو فى السادسة والخمسين من العمر .

أسفاره داخل العالم الإغريقي

لقى فيثاغورس عند عودته إلى ساموس ترحيبا حارا من أهلها. وعلى الرغم من أن كبار السن من أهل ساموس تعرفوا عليه، فإن ما أذهلهم الكم الهائل من الوقار وبلاغة الحديث اللذين يتصف بهما، ودعوه ليلقى خطابا عاما يعرض خلاله خبراته التى عاشها منذ أن غادر الوطن.

وقدم فيثاغورس للإغريق خلال عرضه منهجا للتعليم سبق أن تعلمه أول ما تعلمه فى مصر، والذى تميز به أسلوبه فى التلقين طوال بقية حياته، وقدم جوهر أفكاره من خلال استخدامه للأرقام والأشكال الهندسية والرموز وجمل خفى معناها على غالبية مستمعيه، ولكن أهل ساموس الذين لم يتوقعوا منه مثل هذه الأمور المرهقة للغاية استبدت بهم الحيرة، واضطروا عند نهاية حديثه أن يغادروا القاعة محبطين، وألفى فيثاغورس نفسه وحيدا دون أى طالب يستمع إليه.

ولكنه بدافع الولاء لبلدته عزم على مواصلة الجهد لإقناعهم بقوة أفكاره، ووصولا إلى هدفه هذا وضع خطته التالية:

إذ تصادف أن التقى فيثاغورس فى الجيمنازيوم إيراتوكليس، وهو فتى ذو موهبة فريدة وقدرة على ضبط النفس، ويعانى شظف العيش بسبب قلة المال، وتوقع أن يقنعه بمتابعة دراسته على يديه إذا ما وفر له حجرة وغير ذلك من ضرورات، واقترب منه فيثاغورس فى عصر يوم من الأيام بينما يغادر الجيمنازيوم وقدم إليه اقتراحه، وقال له إن المقرر الدراسى سيكون سهلا يسيرا ومتتابعا ولكن مستمرا، وعزم على أن يلقن إيراتوكليس جميع المذاهب التى تعلمها فى الشرق، والتى رأى أنه يواجه خطر نسيانها

وقد تقدم به السن، وافق إيراتوكليس على الاقتراح وقدم له فيثاغورس فى المقابل أساسيات الرياضيات والهندسة والمعداد ويعطيه أجرا مع استيعابه لكل جزء. ومع تقدم هذا الفتى الرياضى فى المعرفة ازداد التزاما ومواظبة على الدرس، ولم يكن يحفزه إلى هذا مجرد الدعم المالى وتشجيع معلمه له، بل وأيضا قوة ودقة الأرقام. وهنا اعترف له فيثاغورس بأنه إزاء تضاؤل موارده المالية سيكون عاجزا عن أن يدفع له أجره، ولذا لابد وأن ينهى دروسه عند هذا الحد.

وأصر إيراتوكليس على مواصلة الدرس ولكن فيثاغورس احتج بأنه، وبسبب وضعه، مضطر إلى أن يعمل ليكتسب رزقه وليس لديه وقت لمثل هذه المهام التى لا تدر مالا مثل تعليم الرياضيات، ولكن إيراتوكليس عقد العزم على الاستمرار، ومن ثم أجاب قائلا "إذن من الآن فصاعدا سوف أزودك بكل ما تحتاج إليه، وأدفع لك مقابل كل حصة للتعليم". واستعاد من جديد دراساته باذلا جهداً أكبر حتى أصبح مثالا يحتذيه كثيرون من شباب ساموس ممن شرعوا فى الدراسة على يدى فيثاغورس. وجدير بالذكر أنه فى مرحلة تالية، وحينما قرر فيثاغورس ترك ساموس كان إيراتوكليس هو التلميذ الوحيد الذى آثر مصاحبة الفيلسوف، وألف ثلاث رسائل علمية عن تعاليم فيثاغورس منها كتاب لتعلم التدريبات الرياضية.

ودرب فيثاغورس أيضا أحد رياضيى ساموس ويدعى إيوريمينيس الذى أصبح على الرغم من قصر قامته، بطلا أوليمبيا بفضل التزامه بتعليمات فيثاغورس التدريبية، إذ تعلم إيوريمينيس أكل اللحم ليبنى جسمه جيدا ويزداد قوة، وتعلم أيضا أن ينافس وعقله ليس مركزا على الفوز والانتصار، بل على متعة كمال المهارة البدنية، وهكذا لا يتحطم تركيزه فضلا على مقاومته للغيرة والغطرسة التى تلازم النجاح دائما.

وسافر فيثاغورس فى أثناء إقامته فى ساموس إلى جزيرة ديلوس لزيارة الحرم المقدس لراعيه الإلهى أبوللو، وأثار الفيلسوف الذى ذاعت شهرته الآن انتباه جميع المتعبدين هناك فى أثناء مروره أمام المذبح، وعمدوا إلى أداء طقوسه أمام مذبح أبوللو

الرب وهو الأقدم المبرأ من الدم، حيث يجرى وضع تقدمات من الفاكهة والحبوب والأزهار. وبعد أن ترك فيثاغورس ديلوس طاف بهياكل قدسية أخرى فى العالم الإغريقى من بينها هياكل ساموتراس وإيمبروس واليوسيس وطيبة ثم أخيرا هيكل معبد دلفى، حيث كانت النبوءة بمولده قبل ستة عقود، وكانت هذه أول زيارة له لمعبد دلفى، حيث أجرى حديثا مع كهنته وأدهشه أن يعرف أن عبادة أبوللو فى بيتيا أودلفى لها جذورها الممتدة إلى كريت، لذا قرر السفر إلى هناك.

وتلقن فيثاغورس فى كريت مبادئ عقيدة مورجوس وهو حكيم قديم انخرط أتباعه فى احتفالات موسيقية تتسم بالقصف والعربدة ووثيقة الصلة بأسطورة عن ميلاد ووفاة زيوس فى الجزيرة. وتولت هذه الجمعية تطهيره عن طريق استخدام أحجار سقطت من نيازك ضمن طقس تطلب منه الرقاد ساعة الفجر ووجهه إلى أسفل على امتداد شاطئ البحر والرقاد ليلا بجانب نهر وعلى رأسه إكليل مصنوع من صوف حمل أسود، ودخل بعد ذلك إلى كهف فوق جبل ديكت الذى قيل إن زيوس الطفل اختبأ فيه هربا من الوحش كروتوس الذى قد يلتهمه. وتدثر فيثاغورس بالصوف الأسود، وظل فى وحدته متنسكا لمدة سبعة وعشرين يوما . وقام بمراسم العبادة عند أريكة الاحتفالات السنوية التى تقام لزيوس فى كريت، ونقش عبارة على قبر زيوس بقيت خالدة على مدى قرون، وتبدأ بعبارة "هنا يرقد الراحل زان الذى يسميه الناس زيوس".

وسافر فيثاغورس من كريت قاصدا إسبرطة، حيث درس مؤسساتهم التشريعية ونظام الحكم، وتزود فيثاغورس من خلال النظام الجماعى فى إسبرطة بنموذج يمكن تكييفه وملاءمته كأساس للطائفة الفلسفية التى بدأ فى وضع تصور عنها، وعاد إلى وطنه ساموس عاقدا العزم على البدء فى إنجاز مشروعه لجمع أفكاره فى منظومة واحدة ونقلها، والتى تطورت فى رأسه على مدى عقود داخل مراكز دينية وعلمية فى مختلف مدارس الفكر فى البحر المتوسط.

الرحيل إلى إيطاليا

أسس فيثاغورس عند عودته إلى ساموس أول مدرسة له واسمها " سيمى سيركل " أو شبه الدائرة، وأقام فى كهف منعزل خارج المدينة، وشغل نفسه طوال النهار وأثناء الليل بالبحث العلمى والمناقشات الفلسفية والتأمل متوحداً، وذاع صيته واستهوى أفضل العقول الشابة فى اليونان للدراسة على يديه. بيد أن أقرانه من أبناء ساموس أصبحوا على وعى بما يتحلى به من موضوعية وإحساس عميق بالعدل والنزاهة. لذلك اعتادوا أن يلتمسوا منه العون فى الإدارة اليومية لشئون البلد وهو ما تكرر على نحو متزايد، وأصروا على أن يصحبهم مع كل سفرة سياسية إلى الدويلات الأجنبية.

وأدرك فيثاغورس استحالة الوفاء بكل هذه المطالب العادلة، بينما هو مكب على دراساته، وشعر بالإحباط إزاء عزوف أبناء ساموس عن التعلم الجاد، ولحظ أن جميع الفلاسفة السابقين عليه عاشوا حياتهم بعيدا عن أرض الوطن لذلك قرر ضرورة الرحيل بعيدا. واتخذ وجهته مدينة كروتون وهى مركز تجارى فى جنوب إيطاليا سبق له أن زارها وهو فتى فى صحبة أبيه فى أثناء رحلاته إلى الغرب. أسسها قبل قرنين مستوطنون إغريق تحت رعاية أبوللو، وكانت كروتون وقت وصول فيثاغورس إليها تعيش أزهى عصورها - إذ كانت هى الأكثر ثراء وتعليما فى كل اليونان وعلى الرغم من وقوعها على ميناء جيد، فإن نجاحها ورخاءها يعودان أساسا إلى الزراعة وتربية الماشية. كانت جمهورية أرستقراطية تفيض حياة داخل محيط قدره عشرين ميلا وفرضت سيطرتها على العديد من المستعمرات فى المنطقة، واشتهرت على نطاق واسع برياضييها الأبطال الأوليمبيين، وكذا تقدمها فى الطب. وحدث قبل وصول فيثاغورس

إلى كروتون ببضع سنوات أن انتقل ديموسيدس الطبيب الأشهر بين أبناء جيله والمعاصر لفيثاغورس من ساموس إلى كروتون حيث استقر بها.

وبلغ فيثاغورس قدرا كبيرا من الشهرة حتى إنه بعد رسو السفينة بميناء كروتون بفترة وجيزة تجمع حشد كبير جدا ليشاهدوه. وسرت شائعات تؤكد أنه أحد أرباب الأوليمب أو لعله حارس الروح ذو القوة وقد أرسلته الأرباب إليهم مما أثار اهتماما عظيما لديهم ووفد إليه البعض وهم على استعداد لعبادته مثله مثل أبوللو دلفى أو مثل أبوللو عند شعب هايبربورينز الذى يسكن الجبال فى الشمال. هذا بينما اعتبره فريق ثالث إنه أحد الأرواح التى تسكن القمر.

وما إن نزل فيثاغورس من السفينة حتى وقف يخطب فى الحشود. ولنا أن نقول إن ما قاله على مسامع الحشد يستحيل إعادة بنائه مرة أخرى - ذلك أن الحشد احترم رجاءه إلا يثبتوا شيئا مما يقوله كتابة وألا يرددوا كلامه - ولكن ما يلى هو بعض المعلومات العامة. إذ إنه علمهم أن الروح خالدة وأنها عقب الوفاة تهاجر فى أجساد حية أخرى. وقال إن جميع الكائنات الحية، تعتبر سواء من حيث الطبيعة أى أنها ذات طبيعة واحدة ويتعين النظر إليها وكأنها تنتمى لأسرة واحدة عظيمة. وقدم تفسيرات جديدة عن الأرباب والأرواح وعن الأفلاك السماوية وعن كل الطبائع الموجودة فى السماء وفى الأرض. وعن الطبائع التى تحتل موقعا وسطا - المشاهدة والغيبية. واعتبر فيثاغورس أول إنسان يعلم الإغريق هذه الموضوعات، وإن لم يتضمن ما تحدث عنه أى شىء يناقض خبرة أو فطنة مستمعيه.

ونتيجة لهذا الخطاب احتشد قرابة ألفين من الرجال والنساء مع أسرهم وعقدوا العزم على أن يصبحوا تلامذة لفيثاغورس. والتأم شمل هؤلاء الحواريين ليشكلوا معا مجتمعا فلسفيا خاصا استهوى الزوار من كل أنحاء البحر المتوسط وما وراءه.

القسم الثانى

تعاليم فيثاغورس

الطائفة الفيثاغورية

نظرا لأن أتباع فيثاغورس لهم مواهب وميول طبيعية متباينة تباينا واسعا فقد بدا من غير العملى ملاءمة حياة الطائفة للجميع على نحو واحد؛ لذلك وزع تلاميذه فى فئات مختلفة باختلاف المزايا والمسئوليات والامتيازات، وكذلك حسب مناهج التعليم المطبقة بالنسبة لكل فئة. واستطاع بذلك توفيق المقرر الدراسى ليتلاءم مع طبيعة كل منهم.

وكان أول مظهر للتمييز هو التمييز بين الإقامة الكاملة مع الطائفة وبين أولئك الذين يسكنون المناطق المحيطة ويلتزمون بمتابعة محاضرات فيثاغورس بانتظام . وإذا شئنا الدقة فى الحديث نجد أن الفريق الأول يحمل اسم الفيثاغوريين بينما الفريق الثانى اسمه أتباع فيثاغورس على الرغم من أن هذا التمييز نادرا ما يبدو واضحا ومفهوما للغرباء، وكان الفيثاغوريون يخضعون لفترة امتحان ومحاضرات صارمة طويلة قبل الإقرار بقبولهم على نحو كامل، واعتادوا العيش بشكل دائم معا وأن تكون ملكياتهم مشتركة، ويتطلعون إلى بلوغ حياة فيثاغورية كاملة.

ولكن أتباع فيثاغورس فقد كانوا على العكس، إذ كان من بينهم أبرز شخصيات كروتون ومدن أخرى فى جنوب إيطاليا، واعتادوا قضاء وقت أقل فى الدراسة نظرا لمسئولياتهم الأسرية والسياسية ومهام مشروعاتهم التجارية. واعتادوا الاستماع رجالا ونساء إلى محاضرات فيثاغورس دون السماح لهم بالمشاركة فى الحوار أو المحاجاة. ونظرا لعدم توفر وقت لازم لديهم للبحث والتأمل، فقد ساد اعتقاد بأن المعارف التى قد يتحصلون عليها من خلال المقررات الدراسية المتقدمة ستكون غير كاملة ومليئة بمظاهر

سوء الفهم، ومع هذا كله استفادوا هم أنفسهم، وأفادوا أقرانهم من مواطنى بلدهم فائدة جمة بفضل تعريفهم ما ينبغى عليهم فعله.

وينقسم الفيثاغوريون نزلاء المجتمع المحلى إلى فريقين، فريق يضم الرجال والنساء الذين أكملوا دورة الرياضات والمجاهدات واسمهم التلاميذ ومسموح لهم بتجاوز الحجاب ليشهدوا السيد مباشرة وهو يحاضرهم. وتنسدل ستارة بعرض قاعة الاستماع التى يتحدث فيها فيثاغورس بحيث تحول دون رؤيته. وتعلم التلاميذ قوانين وبراهين العلم والإلهيات ويتمتعون بكل الفرص الممكنة للنفاذ إلى أعماق الحكمة.

ويطلق على بقية الفيثاغوريين اسم المستمعين، ويطلب منهم الجلوس خارج الحجاب فى أثناء استماعهم لمحاضرات فيثاغورس. واعتادوا الالتزام ببرنامج شامل من الدراسة التمهيدية، ولكن مع حجج وشروح مختصرة دون تفصيل بحيث يتوفر لهم فهم كامل للحقائق الأساسية التى تنبنى عليها جهودهم فى البحث عن الحقيقة، وكان لزاما عليهم التسليم دون مناقشة بأفكار فيثاغورس عما ينبغى على المرء عمله لأنه هو نفسه الذى قال أو هكذا قال السيد Ipse dixit.

وثمة وجه آخر للتمييز بين التلاميذ و المستمعين، إذ يجرى التفرقة بينهم على أساس ميول كلٍّ تجاه أفكار بعينها فى مجالات المعرفة؛ إذ انخرط بعضهم فى مجال دراسة الأخلاق والتجارة والتشريع ويسمون السياسيون، وهناك من درسوا الهندسة والفلك ويسمون الرياضيون؛ وهناك آخرون نذروا حياتهم بشكل خاص للتأمل والطقوس الدينية ويسمون أصحاب الفضيلة أو السماحة.

ويخضع كل راغب فى الالتحاق بالجماعة فى كروتون لامتحان قاس قبل قبوله مقيما داخليا، ويسأل فيثاغورس أول ما يسأل عن علاقتهم بالأبوين والأسرة، ثم يلحظ ثانية نغمة الحديث والضحك، ويستفسر عن الرغبات وعن الصداقات وكيفية قضاء وقت الفراغ وأسباب الشعور بالبهجة أو الحزن. ويحرص على ملاحظة أوضاع كل فى جلسته أو مشيته وشكل وحركات الجسم لأنه كان يرى فى كل ذلك إشارات واضحة للعيان على صفات الروح. وبعد أن يخضع كل مرشح لعملية الفرز الدقيقة هذه تجرى

دعوة المؤهلين للقبول للالتحاق بالطائفة كمستمعين لفترة سنوات ثلاثة ويعمد فيثاغورس خلال هذه الفترة إلى مراقبتهم بدقة لمعرفة طبيعة شخصية كل منهم وعاداته وتقييم إمكانية المرء للاستسلام لرغباته أو انفعالاته ومدى تأثره بالنزاعات أو مشاعر الإحباط، ويختبر رغبة المرء فى تحصيل المعارف وشعوره بالزهو، ويولى قيمة كبرى لخصال الكرم و التكتم والتواضع.

وبعد تقصى كل هذه المظاهر السلوكية يوجه فيثاغورس اهتمامه إلى طبيعة ذاكرة المرء وسهولة التعلم لديه. ويختبر قدرة كل امرئ على تتبع ما قال بسرعة ودقة ثم يستكشف ما إذا كان الحافز رغبة صادقة وحبا خالصًا من أجل استيعاب المذاهب والنظم المعروضة عليه، واعتاد التأكيد على أهمية العقل المتفتح وهذا هو ما سماه الثقافة، ورأى أن الطبيعة المناوئة لذلك إنما هى رافضة للتعلم ولهذا تقترن دائما بالكسل والتعصب.

وبعد العام الثالث يطلب من كل من ثبتت عدم أهليته بسبب إخفاقه فى أى من هذه التفاصيل، ترك الطائفة. وأما من بقى وثبتت أهليته فيلتحق بنظام التلمذة، ونظرا لأن فيثاغورس اعتبر إمساك اللسان أصعب تحديات المرء، فقد كان لزاما على المستمعين التزام التكتم والصمت الكاملين خلال هذه المرحلة لمدة خمس سنوات. ويتخلون عن كل ممتلكاتهم للطائفة وتكون تحت إمرة الأمناء، وبعد خمس سنوات من الصمت يجرى إلحاق من قبلهم فيثاغورس بالطائفة تحت اسم التلاميذ، ولكن إذا حدث بعد طقوس التطهر الكثيرة والدروس على مدى فترة طويلة من الرياضات والمجاهدات أن تبين أن أحد المستمعين بطىء فى تعلمه أو فاقد للثقة بنفسه أو أنه على أى وجه من الوجوه غير مؤهل لمتطلبات الحياة الفيثاغورية فإن الجماعة ترفضه. تعلن الطائفة عن إبعاده وتعطيه ضعف الثروة التى منحها سابقا للطائفة، ثم يجرى إقامة نصب تكريما له وكأنه توفى، وبعد ذلك يتعامل معه الفيثاغوريون باعتباره غريبا إذا حدث وإن التقى به أحد منهم ذلك لأنهم يؤمنون بأن الجزء الخاص به الذى شاركهم الدراسة والتعبد مات.

وأوضح فيثاغورس أن قواعد التهذيب وضبط النفس الاستثنائية التى يفرضها على المريدين ضرورية للتخلص من أهل الشهوة والنهم والإفراط فى المتع وهى أمور تطمس القدرة العقلانية الطبيعية للروح، وقال "الإفراط تتولد عنه الشهوة والسكر والانفعالات الجامحة وهى أمور تلقى بالرجال والنساء إلى هاوية ما لها من قرار"، وقال أيضا "النهم يولد الغيرة والسرقة والاستغلال ويتعين استئصال كل هذه الأدغال التى تغص بها الروح والسبيل إلى ذلك الالتزام المنظم بتشذيب وتدريب النفس. إن العقل الذى تحرر من مثل هذه الشرور هو سبيلنا الوحيد لكى نتمكن من غرس ما هو خير ونافع داخل الروح".

واتبعت الطائفة نظاما صارما، وأولت الطائفة اهتماما خاصا لوقتين اثنين فى النهار – ساعة الصحو وساعة الاستسلام للنوم، ونصح فيثاغورس تلاميذه بالالتزام خلال هذين الوقتين بالمراجعة الدقيقة لأنشطتهم وتأمل كل ما دار، وشجعهم على ترديد الأشعار التالية عند اليقظة والالتزام بتعليماتها بدقة:

عند الصحو ضع أمام عينيك

الأفعال التى تعتزم أداءها فى ذلك النهار.

ودعاهم بالمثل إلى تلاوة الأبيات التالية عند الذهاب إلى النوم :

لا تدع عينيك تغفو مستسلمة للنوم

قبل التأمل ثلاث مرات

فى أفعالك طوال النهار .

أيها أجدتها، وأيها أخفقت فيها، وأيها أهملتها ؟

يستهل المستمعون والتلاميذ يومهم بالسير فرادى قاصدين أماكن هادئة داخل وخارج معتزلهم - حيث الأيك والبساتين وجداول المياه والمعابد وغيرها من مواقع مقدسة. أمسكوا عن الحوار والنقاش إلى حين تستعيد نفوسهم سكينة باطنية، ويصبح فى الاستطاعة تركيز الانتباه وقوة التفكير، وعقب مسيرة الصباح يتناولون معا طعام الإفطار ثم يلتقون جماعات داخل أماكن التجمع المقدسة، ويستثمرون هذه الفترة فى محاضرات تتناول أفكار فيثاغورس - الفلك والموسيقى والرياضيات والأرباب والطقوس والشعائر، ويستثمرون الوقت أيضا فى الحوار والبحث وفى التشاور فيما يكفل صواب السلوك، وبعد أن فرغوا من هذه الدورة وجهوا اهتمامهم إلى موضوع صحة أبدانهم. وجرى مسح أجساد الكثيرين منهم بالزيت، وعمد بعضهم إلى رياضة الجرى والمصارعة داخل البساتين والمروج المعدة خصيصا لهذا الغرض، ومارس آخرون ألعاب القوى وحمل الأثقال بأياديهم، أو أداء سلسلة من الحركات المبرمجة لتقوية[٤] الجسم وضبط أدائه الحركى.

ويتألف طعام الغداء عادة من الخبز وعسل النحل أو أقراص عسل النحل بدون نبيذ، بعد ذلك يستقبلون الضيوف. وجدير بالذكر أن هؤلاء الزائرين لهم أماكن خاصة بالزيارة لا يتعدونها وتقتصر الزيارة على فترة زمنية قصيرة، ويخرج الفيثاغوريون بعد الظهر للمشى ولكن ليسوا فرادى كما كان الحال صباحا؛ إذ يخرجون مثنى أو ثلاثا، حيث يعيد أحدهم على مسامع الآخر محفوظاته أو يختبر كل منهم الآخر فيما يتعلق بتدريبات وممارسات الصباح الباكر.

ومع اقتراب المساء يستحم كل من النزلاء ثم يجتمع الشمل فى القاعة المشتركة لتناول طعام العشاء، ويؤدى كل منهم هنا طقوس سكب الماء للأرباب مع تقدمات من الأعشاب والبخور، ويتبعون ذلك بالعشاء الذى ينتهى عادة قبل غروب الشمس. ويقتصر طعامهم على الأطعمة النباتية والأعشاب والخضروات الطازجة نيئة أو مغلية، وفطائر الشعير والخبز. وبعد أن يفرغوا من عشائهم يصب المسئول عن النبيذ بعضا منه بعد أن يرتل أكبرهم سنا بعض المأثورات الأخلاقية المقدسة مثل لا أقسم أيمانا

باسم الأرباب أو إذا بدأت مسيرتك فلا تراجع أو عودة إلى الوراء، ونجد بعضا من هذه المأثورات محفوظة في القصيدة المعروفة باسم "النظم الذهبي".

وعقب وجبة العشاء يجتمع التلاميذ في قاعة الاستماع، حيث يستمعون لمحاضرة من فيثاغورس، ويصطف التلاميذ وفقا لمراتب ومنزلة كل منهم – التلاميذ في المقدمة أمام الفيلسوف، والمستمعون وأحباء فيثاغورس في الخلف، وقد أسدل ستار بينهم وبين الفيلسوف، ونادرا ما يقل عدد الحضور عن ستمائة للاستماع للمحاضرة، وعقب المحاضرة يتفرق التلاميذ كل إلى صومعته أو إلى بيته في الأحياء القريبة من المدينة.

المعرفة

فيثاغورس هو أول من استخدم كلمة فلسفة - حب الحكمة. اعتاد أن يعلم تلامذته أن هدف الفلسفة هو تحرير العقل من تلك القيود التى فرضها على نفسه، إذ بدون هذه الحرية لا يستطيع المرء إبراء نفسه من إمكانية خطأ الحواس أو تحصيل معارف صادقة، واستخدم لتوضيح طبيعة الفلسفة صورة مجازية لحشد من الناس تجمعوا بمناسبة حدث عام. هنا قد يجد المرء بعض الناس جاءوا بدافع الرغبة فى البيع والشراء، والبعض الآخر لاستعراض قوتهم أو مظهرهم البدنى، بينما فريق ثالث عكف على إظهار مهاراتهم. هذا بينما آخرون شغلتهم الرغبة فى متابعة ومراقبة هؤلاء جميعا والاستمتاع بالفرجة على المشهد حولهم ومحاولة فهم أنماطهم وحركاتهم وما يتحلون به من مظاهر الجمال، واعتاد أن يعلم تلاميذه أن هذا هو شأن الحياة اليومية. نرى البعض يلتمس سبيله إلى الثروة، وآخرين هدفهم اكتساب السلطة أو إعجاب الناس بهم، بينما فريق ثالث يلتمس الشهرة، بيد أن أحكمهم جميعا هم من يسعون فى دأب من أجل المعرفة، وهؤلاء من يسمون فلاسفة[٥].

ومايز فيثاغورس بين المظهر والحقيقة وهو ما يعتبر عنصرا محوريا فى مفهومه عن المعرفة[٦]، إذ كان يعلم تلاميذه أن عالم الشهادة مؤلف من أشكال غير محددة تظهر إلى الوجود، وتنحل دون أن يكون لها وجود دائم حقيقى، ذلك أن الموجودات الحقة على العكس من ذلك أنها ماهايا أو جواهر خالدة، ومن ثم فهى وحدها لها قوة وجوهر، ويلزم عن هذا أن الفلسفة هى علم معنى بهذه الماهايا الكلية، والتى تفيض عنها جميع جزيئات عالم الشهادة.

وضع فيثاغورس مقرره الدراسي تأسيسا على ذلك، ويستهل المقرر بدراسة الأعداد، وينتقل مرحليا إلى الموسيقى فالهندسة ثم المنطق فالإلهيات فالفلك فالطب فالسياسة، وبنى هذه الدراسات على قاعدة تتمثل فى علم الأصول Master Sciences وهى المنهج المشترك فيما بينها جميعا ومنها المنطق والتحليل وعلم أصول الكلمات.

وأكد فيثاغورس على شىء واحد له الأولوية والأسبقية على تفاصيل هذا المقرر، إذ أكد أولا على أهمية التعلم فى ذاته. ورأى من العبث النظر إلى العقل باعتباره أهم ملكاتنا دون بذل جهد كبير لتنميته وتطويره. وأحصى ست مزايا للمعرفة تفوق كل الخيرات الأخرى، مثل السلطة والشهرة والجمال والقوة.

*** المعرفة لا تفيد المرء وحده كفرد، بل تفيد**

المجتمع أيضا ذلك لأن اكتشافات الفلاسفة

تصبح ملكية مشتركة بين الجميع.

بدون المعرفة نعجز عن الاستمتاع بمنافع

الخيرات الأخرى.

*** المعرفة لا تنقص بالاستعمال أو النشر بين**

الناس.

*** غالبية الرجال والنساء يفتقدون بحكم الميلاد**

أو الطبيعة وسائل التقدم فى الثروة

أو السلطة، ولكن الجميع يملكون القدرة

على التقدم فى المعرفة.

*** المعرفة تدوم وتستمر مدى الحياة، وتجلب للبعض**

شهرة خالدة على عكس البدن الذى ينحل ويموت على الرغم من كل ما نبذله من رعاية له.

*** تهدى المعرفة الجميع، نساء ورجالا إلى خدمة الآخرين.**

واعتادت المدرسة الفيثاغورية نقل المعرفة بلغة رمزية(٧) عن طريق استخدام عبارات وألغاز سرية تشتمل على عدد قليل من الكلمات المحملة بالعديد من مستويات التأويل، ويتعين على طلاب المدرسة اكتشاف المعنى المتضمن فى هذه الدروس المؤلفة من ألغاز، ويتوصل التلاميذ إلى المعنى أحيانا عن طريق التأمل لاكتشاف معانيها الكثيرة المحتملة، وعرف فيثاغورس هذه الطريقة فى التعليم فى مصر، ثم اتبعها فى مدارسه، وعند استلهام الوحى فى المعابد مثل معبد دلفى، وضمن هذا المنهج فى العمل أن يكون التلاميذ وحدهم هم من لديهم الاستعداد الكافى لتلقى التعاليم، واستطاع غرس وتثبيت دروسه فى أذهان التلاميذ عن طريق تدريبات ذهنية جادة ومتقنة لتدريب العقل على استخلاص معانى الدروس. وآمن، ثالثا بضرورة توصيل الأفكار فى صياغة محكمة والتعبير عنها فى عبارات موجزة أو أحجيات، واقتدى فى هذا بمثال الطبيعة التى تختزل ضخامة، وتعقد الكائنات الحية على هيئة بذرة ليضعها، ويغرسها بين يدى الرجال والنساء. ونذكر هنا أمثلة من بعض المقولات الرمزية التى اعتاد أن يلقيها مرارا وتكرارا على مسامع حوارييه مثل "البداية نصف الطريق" أو"اخلع نعليك قبل الصلاة والتضحية"، أو " تجنب الطريق الطويل العام، والزم الدرب المطروق أقل من سواه". وأكثر من هذا أنه ابتدع كلمات وصورا تمثل مجالات كاملة من المعرفة، نجد من بينها كلمة كوزموس التى تعنى نواميس التناغم والنظام فى الكون والسماء. وابتدع أيضا المثلث العشرى أو ذا العناصر العشرة Tetraktys الذى يرمز إلى كل أبعاد الخلق المرئية والخفية أو الخلق المشاهد والغيبى.

المثلث العشرى Tetraktys شكل ذو ثلاثة أضلاع مؤلف من عشر نقاط فى أربعة صفوف ١، ٢، ٣، ٤

•

• •

• • •

• • • •

رمز سرى خاص بالعبادة السرية أو القسم باسم الواحد - اتبع الذى يفيض منه الوجود أنه فكرة رياضية ورمز ميتافيزيقى يشتمل فى داخله على مبادئ العالم الطبيعى وتناغم الكوزموس، ويتصدره المقدس الواحد وأسرار العالم القدسى .

وألزم فيثاغورس تلامذته بعدم تسجيل تعاليمه كتابة، مؤكدا أن موضوعات بحثه ودراسته إذا ما أتيحت لغير المريدين أو بدون مساعدة من معلمين مدربين ستكون غير ذات قيمة، بل ربما تضر من يطلع عليها عن غير علم بأسرارها، ورأى أن الكشف عنها فى صيغتها الفيثاغورية المعتادة سيكون مدعاة لأقاويل تصفها بأنها هراء أو حمق، وإذا حدث وعمد أحد إلى تبديلها أو تغييرها لكى تكون يسيرة على الفهم، فإنها ستفقد معناها أو تغدو أقوالا مبتذلة، وإذا عرضها أحد للبيع، فإن قيمتها سوف تنحصر فى المساومة على ما يجنيه البائع من ربح.

ونتيجة لذلك حافظ الفيثاغوريون على تعاليم السيد طى الكتمان، ومن ثم إذا ما ضبط أى من المريدين يتحدث عنها وسط العامة يتم طرده من الطائفة. ويحكى التراث أن أحد الفيثاغوريين خسر ثروته، وحاول تعويض خسارته عن طريق تعليم مذهب الأعداد الصماء أو يمكن القول عن طريق تعليم بعض من اكتشافات فيثاغورس الهندسية مدعيا أنها له هو، ويقال إن القوى الإلهية غضبت لهذا، ولقى الرجل حتفه غرقا على أيدى الآلهة.

لذلك نجد أن من ممارسات الفيثاغوريين الإعلاء من قيمة الكتمان وتنمية قدرات المرء على الانتباه وتقوية الذاكرة، ويرجع في الحقيقة تقدمهم في المعرفة إلى قدرتهم على استيعاب وتذكر ما سمعوه، ولهذا أولوا تنمية الذاكرة اهتماما عظيما، كما كان يتعين عليهم امتلاك ناصية كل عنصر من عناصر التعليم قبل البدء في الجزء التالي منها.

وحقق منهج فيثاغورس التعليمي نجاحا كبيرا حتى أضحت مدرسته مؤسسة تدريبية تدرب عليها جيل من الفلاسفة العظام يندرج بعضهم في مصاف أعظم المفكرين القريبين نفوذاً، وجدير بالذكر أن من بين هؤلاء "الفلاسفة الطبيعيين" من أمثال إمبيدوقليس وبارمنيديس والفيلسوف الأخلاقي إبيكارموس والمعلم الديني الكريتي إبيميديس.

الروح

لقن فيثاغورس تلامذته تعاليم تدعوهم إلى الحياة فى وعى دائم ومتصل بوحدانيتهم مع الأرباب - وهى حالة تستحيل على شخص يقهره غضب أو ألم أو متعة أو جهل. وهكذا وجد من الضرورى أن يوقظ فيهم الروح وبعث عنصرها القدسى نقيا طاهرا، واستهل ذلك بأن كشف لهم أولا طبيعة الروح وعلاقتها بالبدن، وسلوكياته. وعلمهم أن الروح غير مرئية وخالدة أبدية، ومؤلفة من ثلاثة أجزاء كان يسميها الذكاء (نوس nous) والعقل (فرين phren) والعاطفة أو الهوى (تيموس Thumos) وتقول تعاليمه إن البدن يحتوى على القلب والمخ، والعاطفة موضعها داخل القلب، والذكاء والعقل داخل المخ، وتتجلى حالة الروح - ما هى عليه من وضوح وتوازن - فى كلماتنا وأفعالنا والحالة الصحية.

وتغادر الروح البدن عند الموت ويقودها إلى خارج الأرض هيرمس، رب مجنح ذو قدمين، يسميه فيثاغورس "حارس البوابة"، ويرافق هيرمس الأرواح الطاهرة إلى سدرة المنتهى فى أعلى عليين، بينما يسجن الأرواح الدنسه الملوثة مع أرواح الانتقام تحت الأرض فى أسفل سافلين، وهناك أرواح تحررت من أجسادها تسبح فى كل أنحاء الفضاء، وهذه هى الأرواح الحارسة التى تعيش جنبا إلى جنب معنا تهدينا وتتدخل فى شئون حياتنا، وتصوغ أحلامنا، وتهبنا الصحة وتصيبنا بالمرض، ولنا أن نستحضرها للنبوءات وعند التماس الرأى والحكمة وعند شعائر وطقوس التطهر.

واعتاد فيثاغورس أن يعلم تلامذته أن كل الأرواح تكمل فى رحلتها الحياتية "دورة الضرورة"، حيث نتقمص أجساد مختلفة فى أزمان مختلفة. وعنده أن فهم هذا القانون يمثل عاملا أساسيا لفهم الحقيقة الكامنة فى كل الأمور الأخرى. وزعم فيثاغورس أنه

فى حياة سابقة كان هو أيتاليدس بن هيرمس، وأن أباه دعاه لكى يختار أى هدية وسوف يهديها لى مسرورا إلا أن سأله الخلود، وأجاب بأنه يطلب منه أن توهب له القدرة على أن يتذكر دائما كل ما حدث له أيا كان الحدث، وأنه لذلك تذكر كل تجربة عاشها مع انتقال روحه من جسد إلى جسد، تسرى فى أى من النباتات والحيوانات حسب مشيئته؛ حتى إنه شاهد معاناة الأرواح التى تتعذب فى الجحيم أو الهيدسى Hades ، كما نعم بمشاهدة كمال السماوات.

وعرف على سبيل المثال أنه إيفوريوس وهو محارب خاض حروبا بطولية فى حرب طروادة، وكثيرا ما اعتاد التغنى بأشعار من نظم هوميروس التى تصف موت ايفوريوس، وكان يغنيها على أنغام القيثارة.

سقط، وكان لسقوطه دوى الرعد، وصلصل

سلاحه فوق جسده .

وشعره الجميل، جمال الآهات الحسن الثلاثة .

تناثرت فوقه قطرات الدم

تضفرت خصلات الشعر مكسوة بذهب وفضة

وكأنها

علوج شجرة زيتون، نما واشتد عوده،

تعهده امرؤ فى مكان متوحد، وسقاه فى سخاء

وأزهر جميلا، وتوالت هبات الريح من كل جانب

ارتجف معها، واستحال معها إلى زهرة شاحبة

وفجأة هبت ريح فى عاصفة هوجاء

اقتلعته من تربته وطرحته ممددا على الأرض

هكذا كان حال إيفوريوس صاحب الرمح الرمادى القوى

ابن بانثوس.

الذى قتله أتريديس وجرده من سلاحه

الإلياذة ٤، ٥ - ٦٠

ترجمة لاتيمور ١٩٥١ .

وبعد وفاة إيفوريوس انتقلت روح فيثاغورس إلى جسد رجل يدعى هيرموتيموس. وإذ أراد هيرموتيموس أن يبرهن على هويته ذهب إلى معبد أبوللو فى برانكيداى على ساحل آسيا الوسطى، حيث نذر مينيلاوس درع إيفوريوس بعد أن بلى ليكون تقدمة عقب انتصاره فى طروادة، وكان هيرموتيموس واقفا خارج المعبد يصف تفاصيل الزخارف العاجية التى يتحلى بها الدرع وهى كل ما تبقى منه، وأحضره ليراه من بالخارج وكان مصداقا لوصفه له. وعقب وفاة هيرموتيموس عادت روحه إلى بيرهوس وهو صياد من ديلوس.

ولم يكن بمقدور فيثاغورس أن يستعيد ذكريات حيواته الماضية فقط، بل كان بمقدوره كذلك النفاذ ببصره إلى أرواح الآخرين، وحدث ذات مرة أن رأى كلبا يضربه رجل بقسوة شديدة فاندفع نحوه وأمسك بصاحب الكلب، وهو يقول له: "كف عن ذلك". أعرف من صوت صيحات الكلب أن بداخل جسده روح صديقى الراحل إبيديس. وفى مرة أخرى حدد بأن روح ملك فريجا الأسطورى المدعو ميداس تسكن جسد ميلياس من كروتون، وسبق أن سافر ميلياس، بناء على إلحاح فيثاغورس إلى آسيا لأداء شعائر الغفران عند مقبرة ميداس.

وجدير بالذكر أن تعاليم فيثاغورس عن الروح امتد نفوذها إلى أبعد من العالم الهللينى حتى وهو لا يزال على قيد الحياة. ونذكر على سبيل المثال أن أحد تلامذة فيثاغورس واسمه زالموكسيس، وقد سمى كذلك لأنه اعتاد لبس جلد دب، نقل معارفه إلى وطنه تراكيا فى أقصى الشمال الشرقى لليونان، وبدأ زالموكسيس حياته بالعمل عبداً لدى الفيلسوف ثم عتقه والتحق بعد ذلك بالطائفة الفيثاغورية، واكتسب محبة فيثاغورس الذى أولاه عنايته ولقنه تعاليمه السرية التى تمثل سر الأسرار، كما علمه فن شفاء المرضى.

وعاد زالموكسيس بعد ذلك إلى شعبه وأهله، الجيتاى وحدثهم عن خلود الروح وأوضح لهم كيف يمكن شفاء البدن عن طريق تطهير الروح. وتم تنصيب زالموكسيس بعد ذلك ملكا على جيتاى. وعقب وفاته احتل موقع الرب الأعظم فى البانيثون أى معبدهم الجامع لأربابهم، واستشعر الناس الأمان والحياة بلا خوف والقدرة على مواجهة الأخطار، والشجاعة فى التصدى للأعداء بفضل إيمانهم بأن الروح خالدة، باقية بعد الموت.

الصداقة / المحبة

فيثاغورس هو مكتشف القانون الكلى للتكافل والتجاذب والانجذاب المتبادل، واستخدم له مصطلحا بسيطا هو فيليا Philia، وتعنى الصداقة أو المحبة، ورأى أن فيليا قوة كونية تجذب كل عناصر الطبيعة فى علاقات تناغمية. وتفيد فى الحفاظ على نظام الكواكب فى حركتها عبر السماء، وتحث الرجال والنساء على أن يكون كل عونا للآخر حالما تطهرت أرواحهم.

وعلّم فيثاغورس تلاميذه أن كل امرئ مسئول عن الالتزام بقانون فيليا فى كل مجال من مجالات الحياة. وغرس حواريوه معنى الصداقة بين الأرباب والبشر، وتجلى هذا كمثال فى الأضحيات التى لا يراق فيها دم، وفى شعائرهم، وكذلك بين الجسد وعناصر الروح الثلاثة من خلال البحث الفلسفى. وعمدوا إلى تأكيد الصداقة بين المواطنين وبين الدول، وذلك من خلال سن القوانين وعقد المعاهدات، وأيضا الصداقة أو المودة بين الزوج وزوجته، وكذا بين الجيران بفضل الاعتراف بالهدف المشترك.

واعتبر فيثاغورس أن جميع من تبنوا سبيله فى الحياة أصدقاء ورفاقا له. أحبهم، وعلم تلامذته الاقتداء به من خلال الحكم الموجزة من مثل "الأصدقاء شركاء فيما يملكون" و"صديقى هو نفسى الثانية"، واعتاد أن يجد متعة فى مصاحبتهم والتحادث معهم حال استمتاعهم بالصحة والعافية. وإذا ألم بهم مرض سهر على رعايتهم وتطبيبهم، وإذا شعروا بالإحباط أو الاكتئاب عمد إلى التسرية عنهم بالأغانى والترنيمات، واشتهر حواريوه بالعمل على رعاية بعضهم بعضاً. ولذلك دأب اليونانيون حتى بداية الحقبة المسيحية على وصف أى شخص عرفت عنه الرحمة والرأفة فى صورة فريدة ومتميزة بأنه فيثاغورى، وعلم فيثاغورس تلامذته ضرورة أن تبرأ

الصداقة من كل مظاهر التنافس، وأولا وأساسا من الغضب، ودعا إلى أن يقتصر الكبار فى نقدهم على صغار السن فقط، وأن يكون نقدهم للصغار دائما حذرا يستهدف الرعاية وصادرا عن نية حسنة، وأكد على ضرورة عدم خيانة الأمانة مع صديق أو إفشاء سر لصديق حتى ولو بالإشارة، إذ لو حدث ذلك فلا سبيل إلى استعادة الثقة مرة أخرى.

وتبرهن القصة التالية على مدى تمجيد الفيثاغوريين للصداقة، تحكى القصة أن فينتياس السيراكوزى اشتهر بأخلاقه الحميدة. وحدث أن اتهمته السلطات بالتآمر لاغتيال الطاغية ديونيسيوس، وتكاتف خصومه السياسيون ليقدموا دليلا زائفا ضده لإدانته. وألقى ديونيسيوس القبض على فينتياس زاعما أن لديه دليلاً قاطعًا على جريمته، وأصدر حكما بإعدامه. وأجاب فينتياس قائلا إذا كان لا مناص من إعدامه، فإنه يلتمس منحه حريته حتى آخر النهار حتى يسوى أموره. وعرض أن يكون صديقه دامون رهينة بدلا عنه، وكان دامون زميلا له من الطائفة الفيثاغورية عاش معه ويمتلكان كل شىء شراكة بينهما. وأبدى ديونيسيوس دهشته لهذا الطلب وتساءل هل يقبل دامون أو أى إنسان آخر إيداعه السجن مع احتمال إعدامه لصالح إنسان آخر؟ وأكد فينتياس أن دامون سوف يقبل وتم استدعاء دامون، وما إن علم دامون بالأمر حتى أبدى استعداده وقبوله بأن يبقى رهن الحجز القضائى إلى حين يسوى فينتياس أموره.

وما إن كاد النهار ينقضى حتى بدأ خصوم فينتياس يعيرون سجينهم مدعين أن صديقه غادر المدينة، ولكن دون أن يتأثر دامون بادعاءاتهم. وعندما آذنت الشمس بالمغيب حضر فينتياس ليلقى حتفه، وتأثر ديونيسيوس أيما تأثير لهذا الولاء الذى لا مثيل له حتى إنه احتضن الرجلين، وأطلق سراح فينتياس وطلب منهما أن يقبلاه صديقا ثالثا لهما، وثمة قصة قديمة أخرى تحكى كيف التزم الفيثاغوريون جانب الصداقة الحقة والكاملة مع الآخرين من خارج جماعتهم حتى وإن كانوا غرباء.

تحكى القصة أن أحد الفيثاغوريين اعتزم القيام برحلة طويلة وحده سيرا على الأقدام، وتوقف عند نزل حيث سقط ضحية مرض عضال لازمه فترة طويلة، واضطر إلى أن ينفق كل ما معه من مال، ولكن صاحب النزل اعتنى به بدافع من الرحمة، وأمده بكل ما يحتاج إليه، وحين أدرك أنه على مشارف الموت أخرج الفيثاغورى صورة للمثلث العشرى مثبتة على الحزام، وطلب من صاحب النزل أن يعلقها عند أول الطريق حال وافته المنية، وقال له: "إن أى امرئ يعرف هذه العلامة سوف يسدد لك مقابل كل ما قدمته لى من عون ومساعدة".

وتوفى الفيثاغورى بعد ذلك بفترة وجيزة، والتزم صاحب النزل بكل مستلزمات دفنه دون أن ينتظر سداد نفقاته، ولكنه احتراما بوصية الميت علق العلامة خارج النزل فى الطريق العام.

ولم تمض سنوات طويلة حتى مرت امرأة فيثاغورية بالطريق، وسرعان ما لمحت العلامة وفهمت الرمز وذهبت إلى صاحب النزل لتعرف منه من صاحبها، وعندما عرفت ما حدث كانت سخية معه، وأعطت صاحب النزل مبلغا أكبر كثيرا من الذى أنفقه.

ويذكر التاريخ الكثير من هذه الأمثلة الدالة على الفيليا أو الصداقة والمودة عند الفيثاغوريين وتكشف عن فعالية قانون كونى لا يستهدف فقط عمل الرجال والنساء من أجل خدمة كل منهما الآخر، بل وأيضا دعم الرابطة بين كوكب وآخر وبين ما هو سماوى بما هو أرضى، واشتملت تعاليم فيثاغورس التى اعتاد تلقينها على مقولة: "لن يجد المرء ما هو أكثر كمالا من ذلك لا فى كلمات ولا فى سبل وسلوكيات الحياة".

الرياضيات

الرياضيات عند فيثاغورس هى جسر بين عالم الشهادة وعالم الغيب[8]، وحرص على دراسة الرياضيات ليس باعتبارها فقط سبيلا للفهم والتأثير فى الطبيعة للاستفادة منها، بل وأيضا وسيلة لحفز العقل على التوجه بعيدا عن العالم المادى، إذ كان يؤمن أن العالم المادى زائل ودار عبور وغير واقعى. ويؤدى نهجه بالعقل إلى التأمل فى الموجودات الخالدة الحقة التى لا تتغير أبدا، وعلم فيثاغورس تلامذته أنهم إذ يركزون اهتمامهم على عناصر الرياضيات يمكنهم ضمان سكينة وتطهير العقل، ويفضى بهم هذا بفضل الرياضيات والمجاهدات إلى معايشة السعادة الحقة.

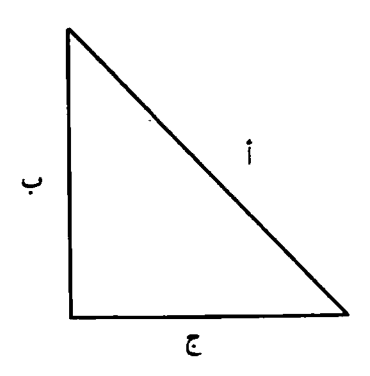
وآمن بأن الأعداد تمثل الجوهر الأخير لكل الموجودات المادية وغير المادية، ورأى أن الأعداد لها جانبان متمايزان ومتكاملان. إذ لها من ناحية وجودها المكانى، أى الوجود المادى. وتمثل من ناحية أخرى المبادئ الأولية الأساسية للصياغة النسقية وهى مبادئ تجريدية محضة. مثال ذلك الموناد monad (الوحدة الأولى)، والتى فهمها الفيثاغوريون على أنها الرقم واحد الذى يتميز بخصائص يمكن تعددها ومعالجتها فى الطبيعة. وهى أيضا الفكرة التى تجسد الوحدة الأولى الأصلية ومصدر كل الخلق. وتحدت هذه التعاليم الثورية نظرية المفكرين الإغريق السابقين التى تقضى بإمكانية اختزال العالم فى نهاية الأمر إلى توليفة من العناصر: النار والتراب والهواء والماء، وواقع الحال أن فيثاغورس علم تلامذته أن هذه العناصر ذاتها مثلها مثل أفكار العدل والروح والعقل هى أعداد. واستطاع بفضل فهمه لأعمالها تطوير المهارة فى التنبؤ بالمستقبل وتحقيق الكمال فى التناغم مع البشر والأرباب.

وبدا فيثاغورس بتوصله إلى هذه النتائج أنه تأثر وبعمق بالمذاهب التى التقاها فى أسفاره وبالكتابات عن أورفيوس(٩) التى كانت رائجة ومتداولة على نطاق واسع فى مدارس إيونيا الفلسفية، ولكن لعل الأهم هو اكتشافه الخاص أن الفواصل الموسيقية الدالة على اختلاف النغم يمكن التعبير عنها على أساس نسب عددية كاملة، وقاده هذا الاكتشاف إلى التحقق من أن جميع الظواهر الحسية تتبع أنماط الأعداد.

وتخصص فيثاغورس أيضا فى استخدام الأعداد والمعادلات الرياضية لتفسير تعاليمه، وقارن بين هذا المنهج وبين استخدام الكلمات التى تشبه الأرقام من حيث إنها منطوقة شفاهية أو مكتوبة للدلالة على معرفة. واعتاد أن يعلم تلاميذه أنه إذا كانت الكلمات ملائمة لتوصيل أفكار مشتركة، فإن الأعداد مثلها تماما لها قوة قيادة الروح عبر جزئها العقلانى إلى فهم أشكال خالدة.

ولعل فيثاغورس مشهور أكثر بين دارسى الرياضيات المحدثين بأعماله فى مجال الهندسة التى امتلك ناصيتها فى أثناء إقامته فى مصر، والمعروف أن مياه فيضان نهر النيل تغرق أراضى وادى النيل فى فصل الربيع من كل عام مما يؤدى إلى طمس حدود الأراضى الزراعية.

لهذا اضطر المصريون إلى إعادة قياس أبعاد الأراضى التى زرعوها كل عام، واضطروا لهذا السبب أن يبرعوا فى الهندسة وهى فن قياس الأرض ونعرف أن كلمة هندسة المؤلفة من كلمتين هما "جيو" وتعنى أرض و(مترى) وتعنى قياس أى قياس الأرض، وقدم فيثاغورس إسهامات مهمة لهذا البحث أشهرها اكتشافه النظرية التى تحمل اسمه نظرية فيثاغورس، والتى تقول "إن مربع وتر الزاوية القائمة يساوى مجموع المربعين المقامين على الضلعين اللذين يكونان الزاوية القائمة".



نظرية فيثاغورس : $أ^2 = ب^2 + جـ^2$

والأهم من ذلك أن فيثاغورس حول الهندسة إلى مبحث فلسفى سماه هيستوريا Historia أو مبحث الاستعلام والتحقق وكان من مأثوراته "الأعداد كنماذج أعلى وليست الأعداد للربح"، ويعنى بهذا أنه ينبغى أن يكون الهدف من دراسة الهندسة تحويل الروح فى اتجاه أمور أسمى، وليس فقط التعامل مع الموضوعات الحسيه لجنى كسب مادى، لذلك نراه يجمع حصاده من نظريات تعلمها من مصادر قديمة كتبت ويصقلها ويصوغ تعريفا جديدا لبنية المبحث الجديد مبتدئا من أكثر البديهيات أساسية ليستحدث مفاهيم رائعة قوية يدرسها لتلامذته، ويطبقها لهم فى مجالات الفكر الميتافيزيقى، واستطاع بهذه الطريقة استكشاف أفكار عبر وسائل جديدة لم تكن معروفة فى السابق.

واستطاع على سبيل المثال أن يصل إلى حد الكمال بنظرية النسبة والتناسب، والتى أصبحت أساسيه ليس فقط فى تاريخ العمارة والتصميم الغربيين، بل وأيضا فى علم الأخلاق والفلسفة، واستحق الفضل أيضا لاكتشافه أسرار ما أصبح معروفا بعد ذلك باسم المجسمات الأفلاطونية - الهرمى والمكعب والمجسم الثمانى والمجسم ذو الاثنى عشر سطحا والمجسم ذو العشرين سطحا - على الرغم من أنه اعتبر الكرة المجسم الأكثر كمالا؛ ومن ثم فهو الشكل الأجمل قاطبة.

•

• •

• • •

• • • •

المثلث العشرى

ونظرا لأن تلامذة فيثاغورس أقسموا على الحفاظ على السرية فضلا عن أنه لم يعلمهم شيئا مكتوبا فإن الأعمال والإنجازات الروحية عن فلسفة العدد الفيثاغورية آلت إلى الضياع على مدى بضعة أجيال إثر وفاته، ولكن يبدو واضحا أن الأعداد العشر الأولى كانت ذات دلالة خاصة عند فيثاغورس وحوارييه، ونلحظ أن هذه الأعداد تؤلف المثلث العشرى الذى قال عنه فيثاغورس فى تعاليمه إنه صورة للمملكتين مملكة الخلق ومملكة الخلود.

وتتجلى المونـاد باعتبارها العدد (واحد) لتدل على الوحدة الأزلية عند أساس الخلق. وأطلق فيثاغورس على المونـاد اسم أوسيا Ousia أى الوجود أو الكينونة واعتبرها أصل كل الموجودات ومصدر الدوام فى الكون. وحيث إن المونـاد سابقه على كل نقطة، بحيث إن النقطة هى مبتدأ الخط، والخط لسطح مستو، وسطح لجسم ثلاثى الأبعاد لذلك فإن المونـاد هى المبدأ الأول وتحتوى من حيث الإمكان على كل شىء. ويفسر ماكروبيوس (حوالى ٤٠٠ ق. م.) ذلك بقوله :

الواحد يسمى موناس monas الوحدة، وهى فى آن
ذكر وأنثى، زوجى ومفرد، وليس عددا فى ذاته،
ولكنه مصدر ومنشأ الأعداد
هذه المونـاد هى البداية والنهاية

لكل الموجودات وهى لم تعرف حتى ذاتها أنها بداية

أو نهاية وتشير إلى الإله الأعلى والأسمى.

ويتميز هذا الرمز بالقوة المكنة حتى إن الكثير من المبادئ الميتافيزيقية صدرت عنه، وكان معروفا بكلمة إيدوس أى فكرة مصدر الحد والصورة والصانع Demiurge والخالق والإيودايمونيا eudemonia السعادة الحقة والتناغم والنظام والصداقة. علاوة على هذا تماهت المونات مع أبوللو رب العقل وهايبريون Hyperion النار المركزية، وتعنى كلا من الشمس كمركز الكون والعقل مركز للجميع.

ويمثل الانتقال من المونات (الواحد) إلى الديات (الثنائى) الخطوة الأولى فى عملية الخلق - الوحدة تتحول إلى ثنائى عن طريق الاستقطاب داخل ذاتها. وهكذا يعنى الثنائى الاستقطاب والتضاد والتباين وعدم المساواة، وقابلية الانقسام وقابلية التعدد والكثرة ومبدأ الوجود فى وقت ما بطريقة ما وفى وقت آخر بطريقة أخرى. ويسمى تولما Tolma أى الجسارة، حيث إنه يخرج من كمال ووحدة الواحد. وبينما يكون المونات محدودا ويعبر عن الاعتدال، فإن الثنائى لا محدود ويعبر عن الإفراط والنقص والقابلية اللانهائية واللاتحدد.

واعتقد فيثاغورس أن الثنائى هو مصدر الأضداد، وجمع حواريوه جداول تمثل هذه الأضداد، والتى توحى أيضا بالتناغم فيما بينها - المونات. ونورد فيما يلى جدولا احتفظ به شخص ممن عمدوا إلى الحط من قدره بحماس شديد ونعنى به أرسطو فى كتابه (الميتافيزيقا) أو ما بعد الطبيعة.

محدود	لا محدود
فردى	زوجى
واحد	كثرة
يمين	شمال

ذكر	أنثى
ساكن	متحرك
مستقيم	متعرج
نور	ظلمة
خير	شر
مربع	مستطيل

وتشتمل القائمة على نقيضين آخرين يوحى بهما الثنائى وهما العارف والمعروف، ويتضمن هذا الثنائى عنصرا ثالثا وهو فعل المعرفة وسريان الوعى، واقترن الثنائى أيضا بما يسمى رهيا rhea أو الفيض ويعنى أم الأرباب، والاسم مشتق من الكلمة الإغريقية رهيا rhea وتعنى[11] يتدفق.

ثالثا : الثالوث وهو العدد الأول بالمعنى الحقيقى. يحتوى الواحد على البذرة ويعطى العدد (اثنان) الطاقة الكامنة. ويحول الرقم ثلاثة العدد إلى كينونة - وجود من هو السبب فى تجلى الطاقة الكامنة فى داخل الموناد وظهورها بتعبيرها الحقيقى وهو عالم الكثرة والتعدد. ويعتبر الثالوث هو مبدأ كل شىء الكلى والكامل، ويجعل كل الموجودات ذات بداية ووسط ونهاية وينفث فى عالم المادة أبعاده الثلاثة وعالم الروح ثلاثية الأطراف.

وحيث إن الثالوث يشتمل على الماضى والحاضر والمستقبل، فإنه يجسد الحكمة والبصيرة، ويستقيم سلوك الناس ويلتزم جادة الصواب حين يضعون فى الاعتبار كل أقسام الزمان الثلاثة، وتندرج جميع المعارف تحت مظلة الثالوث وكان الاعتقاد أنه يملك قوى التنبؤ والتدبر. وبناء على ذلك قدم أبوللو فى معبد دلفى نبوءاته من على كرسى ثلاثى الأرجل مع سكب الماء ثلاث مرات كتقدمة للأرباب.

العدد أربعة ويمثل الرباعى الاكتمال، إذ إن كل شيء فى الكون، الطبيعى والعددى على السواء، يكتمل عبر التقدم مرحليا من الواحد إلى أربعة، وتوجد أربعة فصول وأربعة عناصر وأربعة فواصل موسيقية أساسية وأربعة أنواع من الحركات الكوكبية، وكما قال أفلاطون استطرادا هناك أربع ملكات - الذكاء والعقل والإدراك الحسى والخيال، وأن أربع نقاط فى الفضاء ينبثق منها أول مجسم ثلاثى الأبعاد وهو الهرم. كذلك فإن العلوم الرياضية الأربعة من المجموعة الرباعية للدراسات quadrivium الحساب والموسيقى والهندسة والفلك - تمثل أساس المعرفة الحقة وهكذا يعتبر - الرباعى مصدر العدالة.

وحيث إن العدد أربعة يكمل المتوالية ١ + ٢ + ٣ + ٤ = ١٠

فإنه يفرز أيضا المثلثات العشرية المؤلفة من عشرة عناصر، واعتقد فيثاغورس أن المثلثات العشرية تيتراكتيس Tetraxtys تالية فى الأهمية للموناد فقط وتولدت عنها أسماء وروابط كثيرة، إنها رمز النفس البشرية كما إنها النموذج العددى للكون أو الكوزموس. واعتاد أعضاء الإخوة تقديس المثلث العشرى، ولذلك شاركوا جميعا فى قسم يقول "أقسم به ذلك الذى غرس فى عقولنا المثلث العشرى المقدس ومصدر الطبيعة دائمة الفيض.

وتتألف النظرية من تأمل المثلث العشرى وعلاقاته الباطنية، وتعنى النظرية هنا التقنية الذهنية التى يستعين بها أعضاء الإخوة الفيثاغورية لبلوغ المستوى الإلهى، وكان ذلك سابقة ونبوءة لاستخدام أفلاطون الدراسات الرياضية والجدل (الديالكتيك).

ويكمن الخماسى أو مبدأ الخمسة فى الجمع بين اثنين وثلاثة، الزوجى والفردى، الذكر والأنثى، ويمثل الزواج والتصالح والوفاق، ولذلك قدسته أفروديت ربة الحب. وأن الاتحاد الذى يجسده الخماسى يهب الكون الحياة، وهو ما يتجلى فى الأشكال الجوهرية الخمسة - الرباعى وسداسى السطوح وثمانى السطوح والمجسم ذو الاثنى

عشر سطحا، والمجسم ذو العشرين سطحا. وهو نقطة الوسط فى العدد عشرة، ونجد الرقم خمسة مهما كانت طريقتنا فى استخدامه للجمع حتى عشرة هو الوسط الحسابى - مثال: ٩+١، ٨+٢، ٧+٣، ٦+٤

ويتصف الخماسى بالشمولية المميزة لظواهر الكون الطبيعية ولنا أن نقول إذا كان الموناد هو البذرة التى خرج منها الكون واكتسب الحركة من الثنائى، فإنه اكتسب الحياة من الخماسى واحتوته العشرة أو الديكاد، ولكن الأعداد ما بين الخمسة والعشرة تشتمل أيضا على أهمية رمزية عميقة.

العدد ستة أو السداسى هو العدد الكامل الأول نظرا لأنه كل ناتج عن جميع أجزائه. ويظهر من خلال كل من جمع وضرب عوامله:١ + ٢ + ٣ = ٦ ،١ × ٢ × ٣ = ٦

ومعنى هذا أنه يعكس حالة الصحة والتوازن، ونراه فى الامتدادات الست للأشكال الهندسية وفى الاتجاهات الستة للطبيعة - شمال، وجنوب وغرب وشرق وفوق وتحت. وينبثق مثل العدد خمسة من أول عدد فردى وأول أعداد زوجية عن طريق عملية الضرب وحدها ٢×٣ دون الجمع، ويرتبط بذلك بالخنوثة أو الجمع بين الذكورة والأنوثة. ويشترك السداسى فى الوسط التناغمى، إذ ٣، ٤، ٦ تعتبر فى الموسيقى مثل٦، ٨، ١٢، ولهذا اعتاد الفيثاغوريون الثناء على العدد ٦ فى عمليات مديح تتسم بالحماس والحيوية تقترن بالشمول والدوام والصحة الكاملة.

والعدد سبعة أو السباعى لا يمكنه أن يتولد عن طريق أى عملية للأعداد الأخرى داخل العشرة، إنه يعبر عن العذرية ويرمزون له بالربة العذراء أثينا. وأنه بالجمع بين أعداد المثلث الأول والمربع الأول نحصل على عدد التناغم الأول (٣،٤) النسبة الهندسية (١،٢،٤) والضلعان (٣،٤) حول الزاوية القائمة للمثلث النموذجى قائم الزاوية، ونظرا لاستحالة تقسيم العدد على أى عدد آخر سوى هو نفسه فإنه يمثل القلعة أو الحصن. ويتولد عن سبعة نظام الطبيعة.

وثمة مراحل سبع للقمر، وسبعة من بنات أطلس pleiades وسبعة أجزاء للجسم – الرأس والرقبة والجذع والذراعين والساقين، والرأس له سبع فتحات. والقيثارة لها سبعة أوتار، وحياة الرجال والنساء لها سبع مراحل عمريه: الطفل الرضيع والطفل والبالغ، والفتى والكبير والعجوز والكهل.

والثمانى أو العدد ثمانية مهم لأنه أول مكعب (٢ × ٢ × ٢)، وبذا يقترن بالأمان والثبات وبكل شىء فى الكون يتصف بالاتزان والانتظام، إنه مصدر كل النسب الموسيقية ويسمى (حاضن أو محب التناغمات)، ويعرف أيضا باسم إيروس eros إله الحب نظرا لأنه رمز الصداقة الأبدية. وتتألف السماوات من تسع طبقات كروية، وتشتمل الثامنة منها على الكل والتى تدخل إلى الثمانى فكرة الوجود الشامل الكلى.

التاسوع أو العدد تسعة ويسمى الأفق لأنه يحدد الخط الفاصل بين العشرة والأعداد المفضية إليه. واتساقا مع فكرة الأفق يسمى أيضا أوكيانوس Oceanus إله البحر المحيط بالأرض فى الأساطير. ويمثل المعابر والممرات، وكان التاسوع يسمى ذلك المفضى إلى الإثمار لأنه يكمل الأشهر التسعه الكاملة للوضع أو الولادة، ولذلك فإن مبادئ كثيرة جدا تتلاقى وترقص داخل التاسع، إنه عدد ربات الفنون وبخاصة تيربسيكور Terpsichore ربة الرقص والحركة.

وأيًا كانت الصفات المميزة لكل هذه الأعداد إلا إن العدد عشرة ديكاد هو الأعظم بينها قاطبة، واستخدم فيثاغورس التورية فى تسميته لهذا العدد، إذ سماه ديكادا Dechade أى الوعاء أو الحاوية نظرا لأن العدد عشرة يحتوى على كل شىء فى صورته المفردة وباعتباره قوة.

واعتقد الفيثاغوريون أن العشرة هى جماع المؤثرات الإلهية الممسكة بعناصر الكون معا، أو جميع قوانين الطبيعة. ويرون العشرة باعتبارها القدر والكون والسماء، بل والرب الإله، وذلك لأنها هى المنظمة لجميع الموجودات.

ولا توجد خاصية بين الأعداد أو بين الموجودات التى صاغتها الأعداد وغير موجودة داخل بنية العشرة. وذلك لأن كل عدد يتكرر ويدور عائدا إلى العشرة أو إلى عدد ما داخل العشرة، ويتعين فهم الطبيعة لكى تفض مغاليق وأسرار المعانى الكثيرة التى يمثلها المثلث العشرى ويسمى أيضا الكون أو الكوزموس والخلود والكل.

وهكذا نجد أن الأعداد من واحد إلى عشرة تتمثل عند الفيثاغوريين فى صورة المدى الكامل للظواهر – ابتداء من الموناد، حيث جميع قوانين الطبيعة موجودة فى صورة كامنة وصولا إلى العشرة التى تتجلى فيها جميع الكوامن وتتحول إلى فعل. وجدير بالذكر أنه باستثناء الرمزية الخاصة لكل عدد، فإن متوالية الأعداد من واحد إلى عشرة تصف على نحو رمزى عمليات الخلق والتطور. الواحد هو الوحدة المطلقة حيث مصدر الحكمة ويخلق الكثرة والتنوع من داخل ذاته، وإذ يعى ذاته يخلق الكثرة والانقسام ويتحول الواحد إلى اثنين، وتتولد فى الحال الثلاثة عن الاثنين – واحد واثنان والعلاقة بينهما. هذه هى البداية للخلق فى تجلياته، وكذا العدد الحقيقى الأول، وانبثقت عن هذه العلاقات قيمة الكثرة ذاتها، والتى ندركها فى تمام واكتمال المثلث العشرى الذى هو فى الآن ذاته أربعة وعشرة.

الموسيقى

اعتاد فيثاغورس أن يعلم تلاميذه أنه من الضرورى ألا نتعامل مع الموسيقى وكأنها مجرد شكل من أشكال التسلية وأكّد أن الموسيقى تعبير عن التناغم[١٣] (الهارمونيا) المبدأ الإلهى الذى يضفى النظام على الفوضى والتنافر، وهكذا تكون للموسيقى قيمة مزدوجة. إنها مثل الرياضيات إذ يتمكن الرجال والنساء أن ينفذوا بفضلها إلى أعماق هياكل الطبيعة، علاوة على هذا فإنها عند استخدامها على نحو صحيح فإنها تحقق التناغم بين ملكات الروح وبين هذه الهياكل، وتطهر العقل والجسد وبذلك تستعيد وتصون الصحة فى كمالها.

واستطاع فيثاغورس إدراك وتمييز حالات معينة ذات خصائص مميزة للعقل وإدراك الإيقاعات والألحان الملائمة، وأصبح بإمكانه بفضل هذا الإدراك، التحكم فى انفعالات مثل الحزن والغضب والنشوة واليأس والغيرة والكبرياء. ووصف أيضا أشكالا معينة للرقص وحركات الجسد لعلاج مثل هذه الحالات مصحوبة بقيثارة ثمانية الأوتار بدلا عن أداء الأولوس Aulos[١٤] وهى نوع من الأوبوا والتى رأى أنها تستثير حواس المرء وغير مجدية.

ودأب أعضاء الطائفة الفيثاغورية على الاستماع كل مساء وقبل الرحيل لألحان موضوعة خصيصا لتحرير أنفسهم من نزاعات وضغوط النهار، وعمد التلاميذ إلى مزج فواصل وتنويعات لحنية مميزة للصوت وأحيانا للكلمات، بحيث تحقق لهم أغانى المساء نوما هادئا مع أحلام هادئة تسر النفوس، ومع الصباح يستيقظ النزلاء على ألحان وإيقاعات مصممة خصيصا لتهيئتهم للعمل.

وثمة أغان وأساليب عزف مختلفة[١٥] والتى علمها فيثاغورس لتلامذته ملائمة لمختلف ساعات النهار، وكذا لفصول السنة مثال ذلك أنه فى الربيع ينظم شعائر وطقوسا يجلس أثناءها فريق من التلاميذ على هيئة حلقة ويصحبهم عازف قيثارة يتخذ مجلسه وسط الدائرة، وما إن يشرع العازف فى عزف ألحانه حتى يشرع الآخرون فى الغناء جماعة بأسلوب تلقائى موحد بحيث تصدر عنهم أغنية بصوت جماعى توافقى مما يولد إحساسا قويا بالبهجة، وجرى استخدام هذه الشعائر أيضا مع تعديلها لكى تكون تطبيبا وعلاجا لأمراض البدن.

وتواترت قصص كثيرة تصور قدرة فيثاغورس على التأثير فى الآخرين عن طريق الموسيقى، وحدث ذات ليلة وبينما كان يسير عبر كروتون متأملا السماوات أن التقى شابا من تورومينيا وعلى الرغم من أنهما غريبان لا يعرف أحدهما الآخر اعترض الرجل طريق فيثاغورس عندما مر بجواره ورفض التوقف عندما طلب فيثاغورس منه ذلك. وفى ساعة متأخرة من الليل وكان الترومانى قد لعبت برأسه الخمر والموسيقى، وشرع فى حرق بيت عشيقته التى رآها تغادر بيت رجل آخر. وعندما التقى فيثاغورس بالرجل مرة ثانية طلب من عازف الناى الواقف بالقرب منه أن يغير أغنيته الفريجيه ويعزف إيقاعا سبونديا Spondai أى إيقاعًا مؤلفًا من تفعيلة ذات مقطعين طويلين. وسرعان ما هدأ غضب الشاب وأمكن إقناعه بالعودة الى البيت سالما فى هدوء.

ولم يكن امتلاك فيثاغورس لهذه القوة وما لها من نتائج مجرد نتيجة لمهارته فى الغناء أو العزف على آلات موسيقية، وإنما جاءت أيضا نتيجة ممارساته لقدراته الاستثنائية[١٧] على الاستماع والتى أهلته لتمييز تناغم وتوافق الأجرام السماوية - موسيقى الأفلاك السماوية ووصف هذه الموسيقى بأنها لحن لنبرات صوتية وإيقاعات ودرجات لجهارة الصوت وفواصل متباينة ومتنوعة، وقد جرى تنظيمها فى أنماط لحركة معقدة تتسم بطبيعة موسيقية رقيقة.

واستطاع بفضل هذا اللحن الذى يعايشه وبفضل التوافق بينه وبين فكره وطبيعة شخصيته أن يؤلف ألحانا تحاكيه ويعزفها بصوته لتلاميذه أو عن طريق الاستعانة بأدواته الموسيقية المتنوعة.

وأدرك فيثاغورس أنه بفضل التناغم الفريد المميز لجسمه كان الوحيد القادر على مثل هذا الإدراك الحسى فى كماله. لذلك كان لزاما على الآخرين النظر إليه لاكتشاف النماذج المثالية العليا ويناغمون بين الذات والكون، وقارن هذا بمشكلة النظر إلى الشمس. إذ لو أن شخصا عاطلا من نعمة الرب التى تهيئ له قوة النظر إليها مباشرة، فإن بوسعه أن يشرع فى فهم ذلك بدراسة انعكاسها على صفحة ماء ساكن أو عبر أداة ترشيح لضوء مثل قطعة زجاج ذات لون غائم.

وعلى الرغم من أن فيثاغورس فهم قوة تأثير التناغم (الهارمونى) الكونى، وعلى الرغم من نجاحه فى إعادة إنتاج هذه التناغمات، فإنه اعتقد أن المبادئ الأساسية للموسيقى، وكذا جميع مجالات المعرفة الأخرى لا يمكن غرسها راسخة فى عقول تلاميذه دون منظومة تمثيل رمزى، لذلك عزم على اكتشاف وسيلة لوضع تقدير كمى وتوصيل عناصر الموسيقى. وتصادف، أثناء تفكير فيثاغورس فى هذه المشكلة أن مر بمحل حداد، واستمع إلى صوت المطرقة وهى تطرق قطعة حديد فوق سندان. لاحظ فيثاغورس أن الأصوات الصادرة عن المطارق مختلفة عن بعضها تماما، ولكن لاحظ أيضا أنها جميعا فى تناغم مشترك. وضح أن تماثل الأصوات تمثل فى الثمانى والرباعى والخماسى، بينما تمثل النشاز فى الخطوة الكاملة بين الرباعى والخماسى، وأدرك فيثاغورس فجأة أن الأمر الذى سعى قلقا لاكتشافه قد ظهر له بفضل عون الله له.



فيثاغورس فى محل الحداد

دخل إلى محل الحداد[١٧] وتمعن بدقة فى عمله، وظن بداية أن الفارق فى النغمة ربما يكون بسبب قوة العمال، ومن ثم طلب منهم تغيير المطارق، وتبين أن فارق النغمة ليس سببه الرجال، بل مرجعه إلى المطارق. وأمعن النظر ورأى أن هذه الظاهرة لم تنشأ نتيجة قوة الطرقة ولا شكل المطرقة، ولا من التغيرات التى طرأت على قطعة الحديد المطروقة.

تحول انتباهه بعد ذلك إلى ثقل[١٨] المطارق التى تراوحت ما بين ست وثمانى وتسع واثنى عشر رطلا، واكتشف أن تناغم النغمات ناتج عن علاقات محددة مع أوزان المطارق، ووجد أن المطارق التى تتراوح أوزانها بنسبة ١:٢ أى المطارق من ست إلى اثنى عشر رطلا - تتولد عنها فاصلة، اختلاف النغمة. الثمانية الأوكتاف oc-tave وأن المطارق التى تتراوح نسبتها من ٢ : ٣ ذات الأوزان ثمانية واثنى عشر رطلا - تتولد عنها النغمة الخماسية؛ والمطارق التى تتراوح نسبتها بين ٣:٤ أى التاسعة والاثنى عشر تتولد عنها فاصلة أى اختلاف فى درجة النغمة والمعروف باسم الرباعية. ولاحظ علاوة على ذلك أن نسب هذه الفواصل الثلاثة المبهجة مشتقة جميعها من الأعداد واحد، اثنين، ثلاثة، أربع - الأعداد الأربع التى تشكل معا المثلث العشرى نموذج الكون، واستخلص فيثاغورس من هذه الملاحظات أنه من خلال استخدام العلاقات العددية يمكنه أن يصف بدقة تناغم الأفلاك فى ضوء عالم الظواهر الفيزيائية.



فيثاغورس يجرى تجارب على نسب الموسيقى مستخدما الأجراس والأكواب وخيوط ألمعى وأنابيب.

صورة الأنابيب أعلى على اليسار وتصور شخصية دينية فى محل الحداد بدلا من فيثاغورس (١٤٩٢).

وبعد أن عاد إلى البيت عكف على تأكيد هذه الفروض، وجه اهتمامه بداية إلى الأدوات الوترية ومد أمعاء أغنام وأوتار ثور مستخدما أوزانًا لها النسب نفسها فى المطارق بحيث تتوافق مع شدتها، واختبر بعد ذلك القصبات أو الأنابيب مع تقطيعها حسب أطوال محددة متنوعة. وجاءت النتائج فى الحالتين مصداقا لنبوءاته، ووسع نطاق تجربته لتشمل أدوات أخرى من بينها المثلث وكفاف الموازين ذات الأحجام المختلفة والآلات وحيدة الوتر، وكذا آلة بها وتر واحد عمد إلى تقسيمه وفق نسب مختلفة. وتبين له مع كل حالة أن النسب نفسها تولدت عنها الفواصل الموسيقية ذاتها دون استثناء.

وإذ أدرك فيثاغورس أنه اكتشف سرا عظيما تحول إلى تطبيق آرائه النافذة عمليا. وكان أهم مطلب عملى للعزف الموسيقى يوميا هو طريقة فى ضبط تناغم القيثارة مع الأدوات الوترية الأخرى بحيث نصدر عنها وعلى نحو ثابت ومنسق فواصل أو اختلافات متوافقة لدرجات النغم. واتخذ نقطة البداية له من الأعداد التى اكتشفها فى أوزان المطارق وحدد رياضيا التوالى المرحلى لثمانى نغمات، والتى تؤلف معا السلم الموسيقى (وهو السلف القديم للسلم الحديث دو، رى، مى، فا، صو، لاسى، دو. وأصبح هذا معروفًا باسم قيثارة فيثاغورس ثمانية الأوتار، وعمد بعد ذلك إلى حساب بنية أنماط موسيقية أخرى بما فى ذلك السلم اللونى وهو سلم يتألف من ١٢ صنف نغمة ، والترتيب متماثل النغمات صوتيا Enharmonic Orders، واستخدم فى ذلك نسبا بسيطة لإبداع فواصل معقدة.

واستطاع فيثاغورس أخيرا ترجمة جميع المبادئ الأساسية للكون التى اكتشفها فى لغتى الموسيقى والرياضيات، واستطاع كذلك من خلال هاتين العمليتين توصيلهما بطريقة ميسورة إلى تلاميذه. وبرهن لهم، بهذه الطريقة على تناغم الكون وبلغ حد الكمال بمهارته حين استطاع التأثير فى انفعالات الروح وفى صحة البدن، وتهيأت له بفضل فهم الموسيقى القدرة على الإدراك المعرفى للعناصر القدسية فى كل من الفنون والسلوك البشرى. وهكذا أوتى القدرة عند التطلع إلى السماوات أن يطبق معارفه

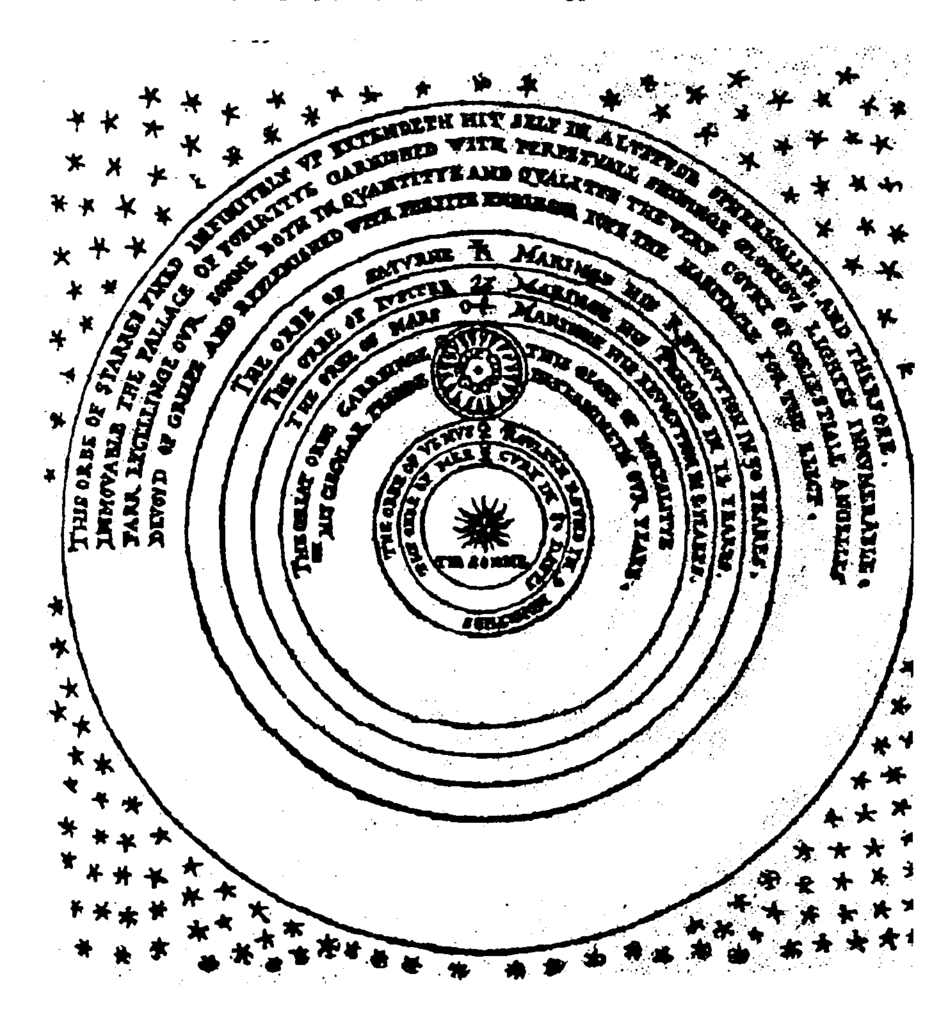
الفلك والكوزمولوجيا

الرياضيات عند الفيثاغوريين لها أربعة جوانب تتعلق بجميع الظواهر وفق سلوكها الخاص المميز. وأوضح فيثاغورس أن "قواعد الحكمة أربعة : الحساب والموسيقى والهندسة والفلك – وترتيبها ١،٢،٣،٤" والحساب هو دراسة الكم، والموسيقى فهم العلاقات بين الكميات، والهندسة تتعامل مع الأشكال الساكنة ثلاثية الأبعاد، ويمثل الفلك آخر هذه المباحث الأربعة وهو معنى بالأجرام حال حركتها وتغيرها.

وكان فيثاغورس هو أول من أطلق على الكون اسم كوزموس، وهذه كلمة تشير جذورها اليونانية إلى كل من الناموس أى النظام الخاضع لقوانين، كما تشير إلى الزينة، واعتقد أن تدقيق النظر فى السماوات يكشف عن جمال رائع متمثل فى تنظيم مواقع النجوم ونظامها الأصيل فى دورانها وحركاتها المدارية، ويرى أن السماوات تجسد الأعداد فى نقائها المحض، والأرقام فى كمالها الخالص والحركات والعلاقات النقية الموجودة بين جواهر الأشياء، والتى لا يتسنى إدراكها إلا بالعقل والفكر. إن الخلود والأبدية أو عدم التغير هى الجوهر ونبع الحكمة، واعتاد فيثاغورس فى الحقيقة أن يعلم تلاميذه التماس المعرفة والخبرة بهذه الأشكال لأن ذلك هو هدف الفلسفة.

وأن التراث الفيثاغورى الذى ورثناه يشتمل على وصفين للكوزموس ويمكن التوفيق بين أى منهما مع الظواهر المرصودة بالأدوات المتاحة لدى العلماء حتى القرن السادس قبل الميلاد.

وصف دقيق للأفلاك السماوية طبقا لرؤية فيثاغورس

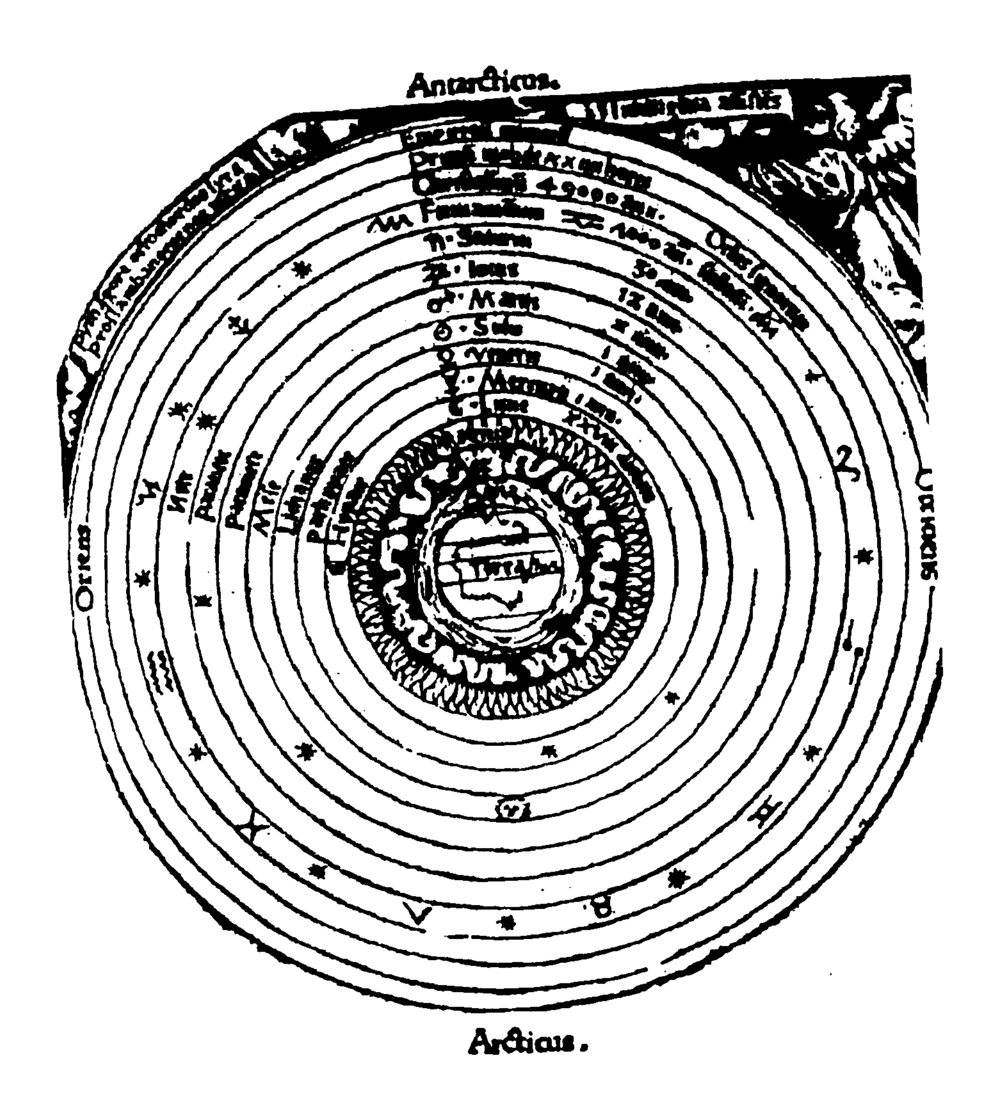


نموذج الكون وقد احتلت الشمس المركز

مأخوذ عن التراث الفيثاغورى من نص عن نظرية كوبرنيك (١٥٧٦)

ونجد عرضا للاثنين هنا بدلا من إلغاء أحدهما أو محاولة عمل وبناء تاريخ جديد لكوزمولوجيا متطورة، ويعرض الاثنان من ناحية رؤى استبصاريه نافذة إلى أعماق الفهم القديم للعالم الطبيعى. ومن ناحية أخرى صورة ميتافيزيقية ممكنة تعكس العالم الخالد أو عالم الخلود الذى تصوره فيثاغورس موجودا فيما وراء عالم الشهادة.

يبدأ النموذج الأول بنار مركزية تمثلها عادة الشمس التى تدور حولها الأرض واعتقد الفيثاغوريون وفقا لما أثبته أرسطو فى كتابه السماء de Caelo أن الأرض يتناوبها الليل والنهار نتيجة حركتها الدائرية حول هذا المركز. ويأتى إثر الأرض القمر والكواكب وتحتل النجوم الثوابت الفلك الخارجى، وحيث إن عدد القمر والكواكب سبعاً فإن المجموع بعد إضافة الأرض والنجوم الثوابت يصبح تسعه أجرام تدور فى دائرة. بيد أنهم أرادوا الوصول بهذا العدد إلى عشرة بغية تحقيق الكمال المتمثل فى العدد عشرة، ولذلك افترضوا وجود ما سمى الأرض المقابلة Counter-earth التى تدور حول النار المركزية فى تعارض مع الأرض، ولكنها غير مرئية لنا بسبب كبر حجم النار المركزية التى تحجبها عنا. وقيل إن أعضاء المدرسة الفيثاغورية اعتبروا النار المركزية بمثابة القوة الخالقة، أو قوة الحياة التى تشيع الدفء والحياة فى كل الأرض، وأطلقوا عليها اسم "برج زيوس" أو "حمى زيوس"



نموذج للكون حيث تحتل الأرض المركز، تأسيسا
على أفكار منسوبة إلى فيثاغورس، من طبعة لكتاب
أرسطو عن السماء caelo de (١٥١٩)

ويتألف الكون "كوزموس" فى النموذج الثانى من اثنى عشر مدارا أو فلكا مشتركة المركز، الفلك الأول والخارجى هو فلك النجوم والثوابت وهنا يعيش الرب الأعظم المتعالى، وتنعم جميع القوى الإلهية بالذكاء، ويشير كتاب أفلاطون إلى أن هذا نطاق عالم المثل. ويلى ذلك وعلى بعد مسافة متساوية عن بعضهما حسب ترتيب تنازلى فلك الكواكب السبعة حسبما فهم فيثاغورس- زحل - المشترى - الزهرة - عطارد- الشمس-القمر. وتلى فلك القمر أفلاك النار والهواء والماء، ويرون أن هذه الكواكب، علاوة على أفلاك أولية، تدور حول الأرض والتى تدور فى موقعها الثابت فى مركز الكون. وتفيد هذا النظرية عن الكون ونواميسه "الكوزمولوجيا" أن الفلك الخارجى الأقصى هو الفلك الأكثر روعة وامتيازا والفلك الخالد، وأن جميع الموجودات تدور فى أفلاكها وفق نظام محكم وصولا إلى مستوى القمر، ويوجد تحت القمر فوضى متزايدة وقابلية للتغير أبدا، ومع اعتبار الأرض ذاتها الأقل كمالا دون جميع الأفلاك.

وعرض فيثاغورس داخل إحدى هاتين النظريتين عن الكزومولوجيا (وربما داخل الاثنتين) عددا من النظريات عن حركات الأجرام الفلكية، وظلت نظريات كثيرة منها موضوع سجال فكرى فى الغرب حتى أيام كوبرنيك فى القرن الخامس عشرة، ولكن ثمة اعترافا الآن بدقة بعضها. وأكد فيثاغورس أن الأرض ذاتها تمثل فلكا فى حد ذاتها، وأقام برهانا على أن الليل والنهار نتيجة لدوران الأرض، وبين أن تغير الفصول سببه ميل محور الأرض بالنسبة للشمس وعلّم تلاميذه أن القمر يضىء بسبب انعكاس ضوء الشمس عليه، واستطاع بذلك أن يفهم طبيعة كسوف وخسوف الشمس والقمر. ويعتبر فيثاغورس أول من قسم الأرض إلى خمس مناطق مناخية ابتداء من المنطقة القطبية إلى المنطقة الاستوائية الأكثر دفئا وهو أيضا أول من أوضح أن نجمتى الصباح والمساء هى كوكب واحد هو الزهرة أو فينوس.

ونحن لا نعرف شيئا عن تعاليم فيثاغورس بشأن التأثير المباشر لحركة الكواكب على السلوك البشرى، وثمة احتمال أنه اطلع على مبادئ التنجيم فى بابل وشرق البحر المتوسط، ولكن المصادر القديمة ملتزمة الصمت إزاء هذا الموضوع. بيد أن فهم

الأجرام السماوية وحركاتها تمثل لب السيكولوجيا الفيثاغورية، وجدير بالذكر أن دراسة السماوات، شأنها شأن الرياضيات والموسيقى قدمت لتلاميذ فيثاغورس دراسة كونية شاملة عن التناغم والتناسب، والتى يمكن للمرء أن يستخلص منها قواعد الحياة وأنماط الأقدار.

رعاية النفس

قال فيثاغورس إن الرجال والنساء هم أكوان صغيرة فى الكون الأكبر، ومثلما أن الكون الأكبر يحتوى على أرباب وعلى العناصر الأربعة وعلى حيوانات ونباتات كذلك البشر لهم عقول وهى قوى إلهية. وفينا نحن طبائع النار والتربة والهواء والماء؛ ولدينا وسائل الحركة والنمو والتكاثر، ولكن الرجال والنساء فى كل من هذه المجالات هم الأدنى مستوى، مثلهم مثل الرياضيين الذين يمارسون خمس ألعاب رياضية مختلفة ولكنهم أدنى مستوى بالقياس إلى البطل الرياضى الذى يركز جهده على رياضة واحدة، وإن قدرتنا على الاستدلال العقلى أقل من قدرة الأرباب، ولا نملك سوى جزء ضئيل وغير نقى من كل من العناصر، كذلك غضبنا وشهوتنا أضعف منهما عند الحيوانات غير العاقلة، وقوانا للتغذية والنمو أدنى مستوى منها لدى النبات.

وقال فيثاغورس فى تعليمه إننا لكى نتغلب على هذه العوائق الطبيعية يكون لازما على الرجال والنساء أن يولوا صحة الأبدان رعاية كبيرة، والعناية بنمو وتطور شخصيتهم مع الاعتراف بأن هذا كله يمثل خطوة ضرورية على الطريق لتطهير الذات من أجل تلقى الحكمة.

وتبدأ الخطوة الأولى فى اتجاه الرفاة قبيل الميلاد - إذ يتعين على كل رجل وامرأة عند شروعهم فى الزواج أن يختار كل رفيق حياته بعناية، ورأى فيثاغورس أنه من العبث أن يعنى مربو السلالات الحيوانية باختيار وتربية السلالة المنشودة، بينما الرجال والنساء ينجبون للعالم أطفالاً بإهمال وبشكل عفوى، واعتاد أن يعلم تلاميذه أن الواجب يقضى بأن على كل اثنين شرعا فى الزواج أن يعملا على خلق حياة تتصف بالهدوء والاعتدال مثل الاعتدال فى الطعام وفى الشراب وتجنب

الغضب والقلق وإدمان الخمر، وإن إهمال ذلك فى أثناء الحمل يمثل أهم وأقوى مصدر للفساد الاجتماعى.

ويمثل ضبط النفس مفتاح الحياة الصحية فى نظر فيثاغورس الذى أكد لحوارييه ضرورة الالتزام بهذا الشق. ينبغى بذل كل ما فى الوسع لاستئصال جذور المرض من البدن، والجهالة من الروح، والترف من المعدة، والعصيان من المدينة، والشقاق من الأسرة، وكذا تجنب الإفراط فى كل شىء. ولم يعبأ بالشهرة وإنما علّم حوارييه إيثار الصمت ما دام أن إمساك اللسان يفرض الاعتدال من منبته.

أما عن الحالة المزاجية فقد اعتاد الفيثاغوريون الحفاظ على مزاج رصين يفيض بهجة دون المزاج القلب ما بين المرح والعبوس من لحظة إلى أخرى، وإذا ألم بأحدهم غضب أو أسى انسحب من بين صفوف الجماعة وبقى وحيدا إلى أن تهدأ نفسه، ويتحاشى كل من أن يوجه اللوم أو العقاب فى حالة الغضب، وتحكى قصة أن واحدا من أتباع فيثاغورس يدعى أركيتاس وهو إيطالى من بلدة تارينتم عاد إلى أرض الوطن بعد مشاركته فى حرب ضد ميسينا، ووجد أن أراضيه الزراعية أصابها الخراب بسبب إهمال عماله. استشاط غضباً إلا أنه مع هذا كبح جماح نفسه وفق تدريباته الفيثاغوريه، وكان هذا من حسن حظ العاملين لديه إذ لولا ذلك لعاقبهم بقسوة.

وتدرب الفيثاغوريون على ضبط النفس والتحرر من الحزن، وتجنبوا التماس الأعذار والنفاق أو الثناء الزائف، وثمة سمة جميلة أخرى تحلوا بها وهى النأى بأنفسهم عن الزهو والكبرياء وهو ما تمثل فى أنهم أرجعوا الفضل فى كل شىء أنجزوه إلى فيثاغورس، ونادرا ما نجد من يدعى مجدا لنفسه بسبب ما حققه من اكتشافات أو ابتكارات، ولعل هذا هو السبب فى أن بعض الأعمال الفلسفية نراها منسوبة إلى فيثاغورس على الرغم من أنه ألزم حوارييه بعدم تسجيل أى من تعاليمه كتابة.

وكان فيثاغورس يؤمن بأن رغبات الجسد طبيعية، ولكنها بحاجة إلى فحص مستمر، اعترف بالحاجة إلى الدفء والطعام والمأوى المريح والملبس، ولكن السعى للترف فى أى منها يعتبر أمرا ضارا، واعتاد أن يلبس ملابس بيضاء نظيفة والعيش فى مكان يتسم بالبساطة الشديدة مع أثاث محدود وفى مساحة أرض صغيرة عليها عدد محدود من الدواجن والماشية.

أما عن الجنس[٢١] فإننا نستطيع أن نستشف رأيه من خلال رده على أحد تلامذته الذى سأله عن الوقت الذى تكون فيه هذه العلاقة ملائمة وأجاب "كلما كانت رغبتك أضعف من نفسك". وروى عنه أيضا أنه قال: "حرى بالمرء أن يقدم الأضحية للربة إفروديت (تقديم القربان لآلهة الحب والجمال - المترجم) فى الشتاء وليس أبدا فى الصيف وأن تكون التقدمة بين حين وآخر فقط فى الربيع والخريف، ولكن حذار فإن الجنس خطر فى كل الفصول، وليس أبدا جيدا للصحة".

وتضمنت تعاليمه فيما يتعلق بأمور التغذية أن الكم مهم مثل الكيف ذلك أن تغيرات طفيفة فى الكمية يمكن أن تترتب عليها نتائج ذات أهمية. مثال ذلك أن الاعتدال فى تناول النبيذ يمكن أن يكون مفيدا غير أن الإفراط يهدم الشخصية. واعتاد الناس إهمال ذلك الفارق فى أغلب الأحيان عند تناول الأطعمة التى تتسبب فى نتائج أقل وضوحا، ولكنه أكد أن كل ما تطعمه له أثر عميق على العقل والبدن معا.

ولقد كان فيثاغورس نفسه نباتيا، واشترط على تلاميذه الذين أشرفوا على بلوغ أعلى مستويات التحصيل الفلسفى الالتزام بتناول طعام بسيط سهل غير معقد ودون طهى والامتناع عن اللحم والنبيذ، ورأى بالمثل أن من غير المسموح للسياسيين تناول اللحم ما دام أن دورهم هو تحديد وإقامة العدل فى المجتمع، وقال فى معرض دفاعه عن رأيه: كيف لهم أن يفعلوا ذلك إذا هم أيدوا قتل الحيوانات وهى ليست فقط الأضعف بالنسبة للإنسان بحكم الطبيعة، بل وأيضا تتوحد معنا عن طريق التناول وتشاركنا الحياة.

ولكن كان مسموحا بتناول اللحم والنبيذ لأتباعه ممن لم تتطهر حياتهم تماما مع فرض قيود عليهم فى ذلك، إذ كان تناول اللحم ممنوعا عليهم خلال فترات معينة خاصة بالصيام، ولم يكن مسموحا لهم أبدا بأكل القلب والمخ، وقال فيثاغورس: إن هذين العضوين هما مرقاة ومستقر الحكمة والحياة.

وثمة أطعمة أخرى معينة كانت محظورة، مثال ذلك أنواع عديدة من السمك ونبات الخبازى وهى عشب قال عنه: إنه بمثابة علامة دالة على التعاطف بين السماء والأرض. وشاع عن الفيثاغوريين تجنبهم لكل أنواع الحبوب اعتقادا منهم بأنها مصدر للسخرية من مظاهر النقص فيهم. (وثمة قصة تواترت على نطاق واسع تقول: إن فريقا من الفيثاغوريين آثروا القتل بأيدى أعدائهم بدلا من الهرب داخل حقل للحبوب حتى لا يقعوا فى الأسر)، وقال فيثاغورس ينبغى تجنب الحبوب لأنه عرف بخبرته الخاصة بأنها تشوش صفاء الفكر والرؤى التنبؤية التى تأتى أحيانا عبر التأمل وفى الأحلام.

السحر والمعجزات

تكاد تجمع المصادر القديمة فى سجلاتها على أن فيثاغورس كانت له معجزات، ولعل أفضل مشورة نلتزم بها لتقييم مدى صدق هذه الروايات أن نتتبع ممارسات فيثاغورس نفسه، ذلك أن فيثاغورس فى تعليمه لأتباعه دعاهم إلى قبول ما ورد من أنباء عن أحداث خارقة للطبيعة بعقل مفتوح، وأن يتقبلوا النظريات العلمية والدينية غير الجامدة، وأن يسلموا بصدق الكثير من القصص الذى يعتبره غيرهم من قبيل الأساطير، إذ بدت جميع هذه الأمور فى نظر الفيثاغوريين قابلة للتصديق وتستحق الدراسة والتجريب.

لقد افتتنوا بوقائع خارقة للعادة من كل الأنواع؛ ورفضوا نبذ أى شىء يمكن تفسيره على أنه من أعمال الآلهة، رأوا أن الغباء فيما يتعلق بكل هذه الأمور مرجعه إلى الشكاك وليس إلى أنفسهم، لأنهم يؤمنون بقدرة الآلهة على كل شىء. مثال ذلك ما روته قصة عن راع أفاد بأنه سمع صوت ترانيم غنائية صادرة من قبر معلم فيثاغورى، ولم يتردد أحد من تلامذة الراحل فى أن يسأل عن ماهية هذه الأغنية وماذا تقول دون أن يتشكك على الإطلاق فى إمكانية أن يغنى الميت.

وإذا كان لنا وعلى المنوال نفسه أن نثق فيما نسبه كتاب جادون من أبناء الأجيال التالية لفيثاغورس يصبح من حقنا التسليم بأنه كان صاحب سلطان قوى على الحيوانات، إذ يقال إنه اقترب من دب أحدث ذعرا شديدا فى منطقة دونيا ودمر الممتلكات وأصاب عددا من الناس بإصابات بالغة. وبعد أن اقترب منه وربت عليه فى رقة وحنان أطعمه بيديه بعضا من الذرة وثمار البلوط ألزمه بالقسم على أن يترك جميع الأحياء فى سلام، ثم أطلقه ليغادر المكان وانسحب الدب إلى حيث الجبال وغابة كبيرة، ولم يذكر أحد أنه أصاب أى إنسان أو حيوان.



فيثاغورس والدب في منطقة دونيا.

وقصة مماثلة وقعت فى بلدة تارنتوم، تحكى القصة أنه شاهد ثورا داخل مرعى يأكل حبوبا خضراء، ونصح فيثاغورس الراعى أن يقول للثور إن من الأفضل له أكل أنواع أخرى من الطعام. ضحك الراعى وأشار إلى أنه لا يعرف لغة الثور؛ ولكن إن كان لفيثاغورس أن يؤدى المهمة ويعرف لغة الثور فإنه يرحب بذلك وليتحدث إليه بنفسه. اقترب فيثاغورس من الثور وهمس فى إحدى أذنيه لفترة من الزمن، وكف الثور تماما عن أكل الحبوب وامتد به العمر طويلا بجوار معبد الربة هيرا فى بلدة تارنتوم، حيث عومل باعتباره كائنا مقدسا.

وفى إحدى السنين وبينما كان فيثاغورس على سفر متجها إلى أوليمبيا للألعاب الرياضية، التقى فريق من الأصدقاء وانخرط معهم فى نقاش عن النبوءات والكهانة والعلامات الإلهية، وعبر عن رأيه قائلا إن أهل التقوى والصفاء يتلقون دائما رسائل من الأرباب إذا ما عرفوا فقط كيف يتوافقون فى تناغم مع نداءاتهم، وحلق نسر فى هذه اللحظة فوق رأس فيثاغورس، ونزل النسر قريبا بناء على إشارة منه ثم حط على ذراع فيثاغورس. ربت لفترة عليه دون أن يتوقف عن الحديث ثم أطلق النسر.

أثبت فيثاغورس من خلال هذه الأحداث وما شابهها أنه بإمكانه هو ومن التزم بتعاليمه أن يكون له سلطان على وحوش البرية مثلما كان أورفيوس الذى كان يغرى ويأسر الحيوانات بقوة غنائه.

وثمة تقليد يفيد بأن فيثاغورس كلما عبر فوق نهر كاسوس Casus قرب ميتابونتوم مع فريق من أتباعه يتوقف لفترة قصيرة فوق الجسر ليعبر عن احترامه وتوقيره لروح النهر، ويجيب النهر بصوت واضح ومسموع للجميع "التحيات لفيثاغورس".

ويفيد كتاب سيرته الذاتية أيضا أن فيثاغورس كان موجودا فى يوم واحد ووقت واحد من النهار فى ميتابونتوم فى إيطاليا، وفى تورومنيوم فى صقلية يعلم تلامذته هنا وهناك على الرغم من بعد المسافة، إذ تفصل بين البلدين يابسة وبحر بحوالى ٢٠٠

ميل. وقال البعض إن بمقدوره أن يقطع هذه المسافة بواسطة رمح ذهبى أهداه له أباريس من هايبربوريا.

وحدث ذات مرة أن التقى فيثاغورس وهو فى طريقه مسافرا من سيباريس إلى كروتون فريقا من الصيادين وهم يسحبون شباكهم المليئة بالسمك إلى الشاطئ، ورأى فيما شاهده فرصة لإثبات قوة وسلطان الحكمة، وقال لهم: إنه يعرف بالدقة عدد السمك الذى اصطادوه.

قال كبير الصيادين لو أصاب فيما قال فإنهم سوف يفعلون كل ما يأمرهم به، وتم حصر أعداد السمك وتبين صدق ودقة نبوءته، وطلب منهم طلبا بسيطا وهو إعادة السمك حيا إلى البحر، وربما ما هو أكثر غرابة أنه لم تمت ولو سمكة واحدة وقتما طرحوا صيدهم على الشاطئ على الرغم من بقائه خارج الماء بعض الوقت، هنا أعطى فيثاغورس لكبير الصيادين ثمن السمك، ثم واصل مسيرته متجها إلى كروتون.

وكان فيثاغورس مثل معلمه وراعيه طاليس يتنبأ بدقة بالزلازل، واستطاع أيضا بفضل ما ينعم به من سلطان إلهى وطبيعى أن يقضى على الأوبئة وقمع الأعاصير العنيفة، وأن يسكن الأمواج الهوجاء فى الأنهار وفى البحار لضمان أمن وسلامة عبور أصدقائه، وجدير بالذكر أن أفعالا مماثلة قام بها أمبيدوقليس وأبيميديس وقد تعلما هذه الفنون على يدى فيثاغورس، وكان أمبيدوقليس يدعى فى الحقيقة باسم إليكساناموس مصرف الرياح والأعاصير، وذلك لتمتعه بهذه القدرات.

ونجد من بين أكثر المعجزات غرابة، والتى ارتبطت باسم فيثاغورس تلك المعجزات التى شارك فيها أباريس من بلدة هايبربوريا [٢٢]. وجدير بالذكر أن الإغريق نظروا إلى شعب هايبربوريا على أنه شعب أسطورى النشأة والأصل، ويحتل أرضا جبلية بعيدة جهة الشمال، وهذه هى منطقة ميلاد أبوللو، والتى كان الرب يعود إليها كل شتاء. ويعتبر شعب هايبربوريا المعماريون الذين أنشأوا أول معبد لأبوللو فى ديلوس واعتادوا

منذ أزمان قبل التاريخ أن يقدموا تقدمات سنوية إلى الجنوب للمشاركة فى الاحتفال الصيفى للرب، وكان أسلاف القبائل الكلتية الذين يسكنون القطاع الأكبر من أوروبا على مدى القرون التالية يحظون باحترام وتقدير العالم الكلاسيكى لما يتحلون به من صفات التفانى الدينــى ولغذائــهم النباتى ولعلاقتهم الخاصة مع الرب أبوللو والرب أرتيمس.

ويروى التاريخ أن أباريس سافر إلى جزيرة اليونان الأم وإلى الجزر التابعة لها ليجمع الذهب الذى سيحمله تقدمة للإله أبوللو فى معبده وسط شعب هايبربوريا، وعاش أثناء هذه الرحلة بين الكهنة الذين زارهم، حيث أبلغ مضيفيه نبوءاته عن المستقبل فى ضوء قراءاته لمعى الحيوانات. وتفيد الروايات أن أحداً لم يشاهده أبدا يأكل أو يشرب، وغير معروف بالضبط أين موطنه - وإن زعم البعض أن موطنه الجزر البريطانية - ولكن حيثما يكون كان طريق عودته دائما يتجه غربيا من اليونان إلى البحر المتوسط عبر إيطاليا، حيث ينزل لزيارة فيثاغورس فى كروتون. تفكر فى كل ما قيل له وسمعه قبل وصوله، وبعد أن شاهد السلوك الإلهى الذى يتحلى به فيثاغورس ورعايته لتلامذته وقوة تعاليمه، هنا استنتج أباريس أن فيثاغورس ليس فى حقيقته إنسانا، بل هو أبوللو نفسه وليس أحدا غيره.

وعبر أباريس عن تكريمه لفيثاغورس بأن قدم له رمحا مقدسا وكان الرمح إحدى ملصقات معبد أبوللو فى الشمال وحمله أباريس معه إلى اليونان لكى يكون عونا له فى الشدائد التى قد تلم به خلال هذه الرحلة الطويلة قاصدا أرضا قاصيه. وأينما ذهب أباريس وحيثما التقى عقبات كأداة تسد أمامه الطرق من مثل أنهار أو بحيرات أو مستنقعات أو جبال يحمله الرمح عابرا به إلى حيث يشاء، وقيل إنه أدى بواسطته شعائر التطهير والوقاية من الأمراض ومن مواد سامة شائعة فى المدن، مثال ذلك أن سبرطة بعد أن تطهر به حمى نفسه من أن تصيبه عدوى مرض غريب سبق أن استشرى على نطاق واسع نتيجة غازات سامة منبعثة من أرض ساخنة عند سفح جبل تايجيتوس. ورويت عن أباريس الكثير من الأحداث المماثلة.

قبل فيثاغورس الرمح دون أن تبدو عليه أى معالم للدهشة أو المفاجأة إزاء القوى المزعومة عن أباريس، ولم يسأل حتى عن السبب فى تقديم الرمح هدية له وكأنه هو فى الحقيقة أبوللو، ثم انتحى بأباريس جانبا وأطلعه على فخذه الذى كان فخذا ذهبيا (٢٣) ليكون ذلك برهانا على قدسيته. وعرض فيثاغورس برهانا آخر تمثل فى وصفه لتفاصيل معبد فى هايبرووريا البعيد ثم شرح كيف أنه وفد إلى مناطق الفناء لكى يخفف من معاناة المخلوقات الحية، وقد جاء فى صورة بشرية حتى لا يظن الرجال والنساء إذا ما أصابهم الذهول بسبب تعاليه عن البشرية أن المبادئ التى يدعوهم إليها تتجاوز سلطان وقدرة البشر، ووجه فيثاغورس الدعوة إلى أباريس لكى يبقى معه يساعده من أجل صقل الحكمة وعلمانية تلاميذه ولكى يشاركه فى الموارد المشتركة لطائفته. وهكذا انضم أباريس إلى الفيثاغوريين فى كروتون، ونظرا لتقدم أباريس فى السن وافتقاره للمهارة وعدم الخبرة بالتعلم على الطريقة الإغريقية لم يشأ فيثاغورس أن يلزمه بضرورة التفوق وامتلاك ناصية النظريات التمهيدية ولا أن يتعهد بفترة صمت ولا حتى الاستماع إلى محاضراته الأولية، إذ رأى أنه يصلح فقط كمستمع مباشر لمبادئه الأكثر عمقا. ودرس أباريس علم وظائف الأعضاء واللاهوت ونأى بنفسه عن ممارسة العرافة والتكهن عن طريق أمعاء الوحوش البرية، وبدلا من ذلك عمد إلى إتقان فن التكهن بواسطة الأعداد، وقد أقر بأن هذا منهج أكثر تطهرا وقدسية، وينبنى على المشاركة المباشرة للأعداد السماوية للأرباب.

الحياة الأسرية

اعتقد فيثاغورس أن الإنجاب وتنشئة الأبناء مسئولتان مقدستان، وأكد أن هذا واجب الرجال والنساء إزاء الأرباب حتى تتواصل عباداتهم عبر الأجيال التالية، واعتبر انفصال الأبوين عن أطفالهم إحدى الكبائر، ولذلك اشترط على الأزواج والزوجات المقبولين أعضاء فى طائفته اصطحاب أسرهم معهم.

وتزوج فيثاغورس نفسه بزوجته ثيانو ابنة برونتينوس، وهو واحد من أقرب تلاميذه إليه، وأنجب الزوجان ثلاثة أطفال: ولدان اسمهما منساركوس وتيلوجيس، وبنتا اسمها دامو، وكانت ثيانو من أبرز تلامذة فيثاغورس وأعظمهم إنجازًا، ويعزو إليها التراث كتابة العديد من المتون التى فقدناها منذ ذلك التاريخ، ويدعى زوجها الثانى أرستايوس الذى تولى مسئولية قيادة من بقوا من أعضاء الطائفة فى كروتون عقب وفاة فيثاغورس.

ويحفظ لنا التاريخ عن ثيانو قصة تقول إنها سئلت ذات مرة بعد كم من الزمان تصبح المرأة طاهرة "إثر ممارسة الجنس"، وأجابت "أنها طاهرة فى اللحظة التى تترك فيها زوجها"، ولكنها لا تعدو طاهرة أبدًا بعد تركها أى إنسان آخر غيره، وروى عن ثيانو أيضًا أنها نصحت امرأة كانت فى طريقها إلى زوجها بأن تطرح جانبًا الاحتشام فى ملبسها، ولكن ترتديها ثانية حين تودعه وتترك مكانه.

ويبدو أن تيلوجبس وافته المنية وهو لا يزال شابا، كذلك كان مصير منساركوس الذى جاءت وفاته إثر وفاة أرستايوس بينما، تلقى مينيساركوس التعليم اللازم ليرث مسئولياته عن أبيه رئيسًا للمدرسة الفيثاغورية، وتفوقت دامو أيضًا فى تعاليم أبيها.

وثمة تقليد يفيد بأن أباها قرب نهاية حياته أودع لديها بعض المذكرات التى سطرها بنفسه علاوة على تعليمات تطالبها بألا تفشى هذه المعلومات لأى إنسان من خارج الطائفة، ويسود ظن بأنها باعت هذه الوثائق مقابل مبلغ كبير من المال. بيد أنها على الرغم من ذلك رفضت التخلى عنها اعتقادا منها أن طاعة أوامر الأب أغلى وأكثر قيمة من الذهب على الرغم من أنها ستظل تعانى من الفقر.

ويتجلى لنا تأكيد فيثاغورس على أهمية الأسرة إذا عرفنا أنها كانت موضوعًا أساسيا فى أول الموضوعات التى علمها فور وصوله إلى كروتون، إذ يحكى أنه فى أثناء خطاب له أمام فريق من الشباب تجمعوا فى ناد رياضى، حثهم على احترام وتكريم الوالدين وكبار السن، وأكد لهم قائلاً ما دام أننا نتعلم من الوالدين أن نوقر ونكرم الألوهيه فإن هذا يدعونا إلى الاعتقاد بأن الأرباب يحبون من أحبوا ووقروا الأبوين بقدر حبهم وتوقيرهم للأرباب.

وآمن بأن الشرق أهم من الغرب، والصباح أهم من المساء، والبداية أهم من الخاتمة، ومخططى المدن أهم من بناتها، ويقال بعامة إن الأرباب أجدر بالتكريم والتوقير من أشباه الأرباب، والأبطال المغاوير أهم من الرجال، وتشهد الطبيعة فى كل جنباتها أن الأبوين يتجاوزان ذريتهما من حيث القوة والحكمة. وقيل كل هذا لكى يثبت عن طريق الاستقراء أن واجب الأبناء تكريم الأب والأم.

ودعى بعد فترة قصيرة من ذلك التاريخ، لكى يوجه خطابا أمام مجلس الألف وهو المجلس التشريعى فى كروتون والمؤلف من رجال فقط، وحث سامعيه على إبداء عاطفة وجدانية أصيلة تجاه أطفالهم، مع ملاحظة أن هذا هو المبدأ الأساسى للحفاظ على جميع الأنواع، وحثهم أيضا على تقوية أواصر ارتباطاتهم بزوجاتهم وأن يهتدوا فى ذلك بالإيمان بأن الروابط الزوجية تقوى وترسخ بفضل الأبناء على عكس المواثيق والاتفاقيات التى تستلزم عقوداً مكتوبة وموثقة. وعلاوة على هذا يتعين عليهم بذل الجهد لاكتساب حب واحترام ذريتهم وأنه لا يكون هذا تأسيسًا على ميزة مورثة كحسب أو نسب، بل بفضل تأثير شخصيتهم والاختيار القصدى للطفل.

وطالبهم بتجنب إقامة علاقات حميمة مع أحد غير زوجاتهم حتى لا تغضب الزوجات بسبب خيانة الأزواج مما قد يحفزهن إلى الوقوع فى الرذيلة ويكن سببًا فى وصم أسرهن بالفساد، واعتاد أن يعلم الناس مبدأ هاديًا يقضى بأن السلوك الملتزم بالقواعد السليمة مع الاعتدال وضبط النفس يمكن أن يصبح الأزواج نماذج وقدوة ليس لأسرهم فقط بل للمجتمع قاطبة.

وتحدث فيثاغورس فى فترة تالية إلى نساء كروتون اللاتى ألححن عليه بالتحدث إليهن بعد أن استمعن إلى نصيحته للأبناء والأزواج، وأشار إليهن فى حديثه إلى أن هيرمس، مبدع الأسماء، يرى أن النساء يعرفن عن وعى قوة الإيمان والتفانى والإخلاص، قد اتخذ اسمًا لكل مرحلة من مراحل حياة المرأة وهو اسم إلهى، فالمرأه غير المتزوجة سماها على اسم الربة كور Kore، والعروس اسمها نيمفا أو الحورية (إحدى الآهات البحر الجميلات) والمرأة المسنة يشار إليها باسم الربة ميتير Meter، والجدة فى اللغة الدورية Doric dialect اسمها مايا Maia، وأعرب عن تكريمه لهن بأن أشار إلى أن تكهنات معبد دودونا Dodona ومعبد دلفى تكشف عنها النساء.

ونصح فيثاغورس النساء بغرس مشاعر التواضع حتى تكون الأرباب أكثر استعدادًا للاستجابة لدعائهن، وأن يحرصن على بشاشة الوجه عند الحديث حتى يكتسبن ثقة وعون الآخرين، وذكرهن عند الحديث عن ارتباطهن بأزواجهن أن من بين طبائع النساء أن يحببن أزواجهن أكثر من حبهن للأبوين، علاوة على ذلك حثهن على أن يبدين لأزواجهن جمالا وقوة شخصية، وكأنهن أكفاء لهم، وبذا يؤسسن شهرة طيبة داخل الطائفة.

وجدير بالذكر أن أحاديث فيثاغورس عن استقرار الحياة الزوجية وعن الإخلاص كان لها أثرها العظيم على شعب كروتون، وتمثل ذلك فى قوة الرابطة الزوجية حتى سادت حكمة مأثورة داخل العالم المتحدث باليونانية، وقيل إن رجال كروتون كانوا أتباع أوديسيوس البطل الهوميرى الذى رفض عرض الخلود لأن ذلك سوف يحرمه من زوجته بنيلوب.

السياسة والعدالة

وجد فيثاغورس عند وصوله إلى إيطاليا أن غالبية المدن هناك خاضعة لحكم الأقليات الغنية الذين يعملون بدافع المصلحة الذاتية، أو أن الحكام طغاة انبثقوا من رحم هذه الطبقات العسكرية، وحسم أمره على حثهم على التحول فى اتجاه سبل حكم أكثر نفعًا وخيرًا، وتذكر عنف الطاغية بوليكريتيس الذى أخرجه من وطنه ساموس، كما تذكر الغزاة الفرس الذين دمروا حياته فى مصر، وكان يدرك تمامًا أن الشعب لا يمكنه الالتزام بالفلسفة ولا بأى أسلوب مستقر للحياة وسط حياة القهر، وآمن كذلك أن قيام مجتمع عادل لابد وأن يكون نتاجا طبيعيا لانتشار وشيوعهما الحكمة.

وبدا واضحًا أن رسالة فيثاغورس لم تكن إضافة هياكل جديدة للحكمة؛ بل كان هدفه، على وجه أصح، غرس منهج جديد للقيادة بين الطبقات الحاكمة، منهج يتسق مع الأسلوب الفلسفى فى الحياة، وحدد فيثاغورس معالم رؤيته عن الحكم العادل فى عرض قدمه على مسامع مجلس الألف، وهو المجلس التشريعى الحاكم فى كروتون، وذلك عقب وصوله إلى هناك بفترة قصيرة.

قال لهم بداية إنهم هم المنوط بهم إقامة الجانب الأهم للعدالة، ذلك لأن العدالة التشريعية تصف ما يتعين وما لا يتعين فعله داخل المجتمع، وأوضح أن هذه الوظيفة تتجاوز كثيرا القضاء لأن عدالة القضاء تشبه الدواء الطبى لعلاج المريض، هذا بينما العدالة التشريعية فهى وقاء، تستبق الظروف وتكفل الصحة مستقبلاً للروح الجمعية.

وأشار عليهم ناصحًا أن يبنوا معبدا للموزيات التسع (الربات التسع الشقيقات اللواتى يحيين الغناء والشعر والفنون والعلوم من الأساطير الإغريقية - المترجم)، وذلك

ضمانا للسلم والرخاء، وأوضح أن الموزيات التسع وإن كانت كل ربة منهن لها أدوار ومهام متمايزة، إلا أنهن جميعًا يلتئم شملهن كفريق واحد تحت هوية واحدة، وأنهن حققن أسمى الإنجازات حين عملن معا فى تعاون مشترك.

وتحقق ذلك على أيديهن على الرغم من جميع التحولات التى كانت سببًا للمعاناة بحكم الطبيعة والحظ، واستمر فريق الموزيات قويًا أبدًا وموحدًا دائمًا، حققن التناغم والتوافق والتكامل والسلامة بحيث أن كروتون أصبحت على مشارف الرخاء بفضل هدايتهن واتخاذهن قدوة ومثالا.

وتحدث بعد ذلك قائلا إن كروتون وديعة مشتركة استأمنهم عليها الشعب، ومن ثم لا ينبغى استغلالها وفاء لأهداف أنانية. ويتعين عليهم أن يحكموها بالطريقة التى تجعل المحكومين يصرون على أن يعهدوا بها إلى أبنائهم، وكأنها ميراث وملكية مشتركة، وأفضل السبل وصولا إلى ذلك أن يقر ويعترف المسئولون عن إدارة المدينة بأنهم والمواطنين سواسية، وأن تحتل العدالة وحدها مكان السلطة المرجعية.

وقال إن المشرعين لن يفيدوا من القسم المعلن لمناشدة الأرباب، حرى بهم اكتساب الشهرة بأن تكون كلماتهم أفعالاً حقيقية مؤكدة الصدق حتى بدون قسم.

وأوضح لهم أخيرًا أن على من يتولون سلطة الحكم ألا يرون فى الاختلاف معهم إثما يثير ضيقهم، بل على العكس حرى بهم التعامل مع الاختلافات فى الرأى بعقل مفتوح، والتقبل، فى تسامح. للمعلومات أيا كان مصدرها قبل التوصل إلى قرار نهائى.

وشرع الشيوخ بعد سماعهم لكلماته، فى بناء معبد للموزيات حسبما اقترح عليهم، وعملوا على مدى العقود الثلاثة التالية على توفيق وملاءمة أعمالهم السياسية لتتوافق مع أفكار فيثاغورس سواء التى خاطبهم بها أو غيرها، وقام فيثاغورس خلال هذه السنوات، وبمساعدة تلامذته، بتحرير مدن سيباريس وكاتانيس وريجيوم وهيمابيرا وأجريجنتوم وتوروومينيوم من الحكومات الاستبدادية، وساعد أتباعه على

انفاذ القوانين فى هذه المدن مما كان سببا فى ازدهارها، وتصبح فى نظر الآخرين نموذجا للسلم والاستقرار، وأثبتوا أنهم قادة أكفاء إذ اعتبروا أنفسهم خدما للعدالة دون أجر أو مقابل، وعلى الرغم من أن البعض نظر إليهم بازدراء، فإنهم وجدوا حمايتهم فى نزاهتهم وثقة المواطنين بهم.

أما كيف فهم فيثاغورس وأتباعه الحكم فإن هذا ما سوف نفهمه على نحو أفضل إذا ما تتبعنا مفهومه عن العدالة وصولا إلى مبدئها الأساسى وعلتها الأخيرة، ويفيدنا أيضًا فى هذا الصدد أن نقدم وصفا للعلة النهائية للظلم وافتقار العدل وهو ما يبين لنا كيفية تجنبهما.

المبدأ الأول للعدالة، حسب رأى فيثاغورس، المشاركة المجتمعية والمساواة. وهذا مبدأ يقرر أن جميع الناس يعيشون ويعانون وينجحون باعتبارهم جسداً واحداً وروحًا واحدة، لذلك نخطئ عندما نمايز بين ما هو لنا وما هو للآخر. وحقق فيثاغورس هذا المبدأ فى طائفته، بل ألغى كل أشكال الملكية الخاصة. إذ كان كل شىء خاص بتلاميذه هو ملكية عامة آلت للطائفة، وحظى من قبل هذا الأسلوب فى الحياة بمكافأة تمثلت فى حالة من الوفرة الحقيقية والتحرر من الجشع والحقد.

ومثلما رأى فيثاغورس أن الوحدة بين الجميع هى مصدر العدالة، كذلك رأى أن الأنانية وازدراء الآخرين علة الظلم. وأوصى تلاميذه أنهم لكى ينشروا إحساسا بالأخوة ليمتد إلى أبعد مدى ممكن حرى بهم أن يمدوه ليشمل الحيوانات، وقد حثهم على معاملة الحيوانات برقة وعطف ألا يضحوا بها أبدا عند أداء الشعائر والطقوس، كما حثهم على الامتناع، قدر المستطاع، عن اتخاذها طعاما لهم، وقال فى معرض التدليل على ذلك إن من يحترمون علاقة النسب بين البشر والحيوانات بهذه الطريقة. يعرفون أكثر من غيرهم بكثير جداً طبيعة وضعهم من حيث التكافل المتبادل بينهم وبين غيرهم من البشر.

وجدير بالذكر أن فيثاغورس فى معالجته لمسألة العدالة لم يقتصر فى تفكيره فقط على علاقتنا بالبشر والكائنات الأخرى الفانية، بل تناول أيضا علاقتنا بما هو إلهى.

وحرص فى تعليمه على أن يبين أن العدالة تستلزم اعتراف المدن بوجود قوى إلهية والحرص على عبادتها إيمانا منهم، وعن يقين بأن لهذه القوى اهتمام قوى برفاه الجنس البشرى، ويلزم عن هذه الرؤية اللاهوتية أن يخضع سلوك الرجال والنساء لفحص وامتحان لا سبيل إلى تجنبها. وهذه مهمة الحكم الإلهى الذى يراقب ولايتنا على الأرض، واعتقد فيثاغورس أن البشر، رجالا ونساء، يقاومون بحكم طبيعتهم فرض أى قيود عليهم، فضلا على أنهم متقلبون ومندفعون. وأنهم لذلك بحاجة ضرورية لهذا النوع من الحكم الاستثنائى الذى يثيب فعل الخير ويعاقب على الخطأ، وأكد أن كل من يعترف بقصور الطبيعة البشرية لابد وأن يثق بالأرباب ويحرص على عباداتها، وأن يكونوا دائما نصب العينين والعقل معا.

ونظرًا لأن الحاجة إلى المال تحفز الرجال والنساء فى الغالب إلى الجريمة، فقد حرص فيثاغورس على تعليم الناس ضرورة التواضع فى معاشهم وتدبير أمور حياتهم وفقًا لقدراتهم بحيث يمكنهم من الوفاء بكل ضروريات الحياة الميسورة، وأن يقنعوا ويرضوا بالكفاف والنأى عن الإفراط. ورأى أن الترف هو أول الشرور المعدية للبيوت والمدن، والمفضى إلى الجشع والصراع مع الآخرين، ويؤدى فى النهاية إلى العنف والحرب لذلك يتعين مقاومة الترف بكل الوسائل، كما يتعين على الرجال والنساء منذ الميلاد أن يألفوا الحياة البسيطة، وأدى هذا كله إلى أن أصبح فيثاغورس نفسه فى عيون الأجيال التالية نموذجا أعلى فى حياة الاقتصاد لا يقل بحال عنه فى الفلسفة. وحقق فيثاغورس هذا بنفسه على الرغم من أنه ورث أملاكا شاسعة عقب وفاة تلميذه الكايوس، واعتبر فيثاغورس أيضًا أن من الحكمة قبول القوانين القائمة مع عدم الإفراط فى الرغبة فى التجديد السياسى. ولهذا زخرت حياته بأفعال التفانى للرب والالتزام بالقوانين.

وقد يكون مفيدًا أن نصف أحد أفعاله فى هذا الصدد ليكون مثالا لما عداه، إذ وفدت إلى كروتون سفارة من مدينة سيباريس المجاورة تلتمس إعادة اللاجئين الذين منحتهم كروتون حق اللجوء، وكان فيثاغورس مدركًا أن بعض أتباعه من أصحاب

النفوذ السياسى فى سيباريس تم قتلهم التزاما بأوامر هؤلاء السفراء، وكان يعرف كذلك أن أحد هؤلاء السفراء شارك بنفسه فى عملية القتل، وبينما كان المسئولون فى كروتون يتداولون بشأن كيفية الرد على التماس سفراء سيباريس قال لهم فيثاغورس إننى أعجب لماذا الاختلاف بشأن الموضوع، ونظراً لأنه هو وأتباعه يعارضون جر الأضحيات قسراً إلى المذبح فإن الواجب يقتضى منهم يقينا معارضة إطلاق سراح المنفيين وتسليمهم لقتلة سوف يغتالونهم بكل تأكيد.

وجاءه سفراء سيباريس محتجين، وعمد الرجل الذى اغتال بعضا من تلاميذه بيديه إلى الدفاع عن جرائمه، وهنا أعلن فيثاغورس أنه لن يجيب على قاتل، وهاجمه أحد السفراء لزعمه أنه أبوللو، وهاجمه آخر كان أبوه قد شارك فى إعدام الفيثاغوريين، وتقدم نحوه وسخر من تعاليمه التى تتحدث عن تناسخ الأرواح فى العالم، وقال حيث إن فيثاغورس فى طريقه إلى هاوية العالم السفلى، فإنه يود من فيثاغورس أن يسلم رسالة إلى أبيه ويعود إلىَّ بالرد حال عودته.

وأجاب فيثاغورس بأنه لن يهوى إلى مملكة الملعونين، والتى يعلم عن يقين أنها المكان الذى يلقى فيه القتلة عقابهم جزاءً وفاقًا، وواصل بقية السفراء فى إهانته، ولكن فيثاغورس استدار ومن خلفه أتباعه وسار تجاه الشاطئ؛ حيث أجرى طقوس التطهر بالماء. وأعلن على مسمع سفراء سيباريس قراره النهائى بأنه لن يسلّم المنفيين، وهنا شرع قناصلة كروتون فى تأنيبهم بسبب تشويههم لسمعة فيثاغورس وهو من لا يجرؤ كائن حى على أن يسبه ويكفّره حتى ولو نطقت كل المخلوقات بصوت بشرى.

هذه القصة مثال واحد على مدى تأثير فيثاغورس فى المواقف السياسية، وتشير أيضًا إلى مدى الكراهية والعنف التى أبدتها المعارضة التى التقى بها، ومدى صلابته فى المقاومة لها وهى صلابة لا تعرف الخوف ولا المساومة.

الأرباب

جرى تصميم المنهج التعليمى الفيثاغورى لتحقيق هدف أساسى واحد ألا وهو الوصول لحياة البشر رجالا ونساء إلى حالة من التناغم مع الإله، وأكد فيثاغورس فى الحقيقة أن المبدأ الأول والمبرر العقلانى لكل الفلسفة هو هدايتنا على الطريق إلى الرب، إذ من الحمق التماس الخير من مصدر آخر، ورأى أن من يفعلون ذلك يشبهون رجلا يعيش فى بلد يحكمها ملك، ولكن الرجل يعطى ولاءه وتكريمه لموظف محلى صغير، وينسى الحاكم الذى يبسط سلطانه على الجميع.

وتحدث فيثاغورس عن إله واحد، وعن إله يتجلى فى صور عديدة وقادر على ذلك دون تناقض، ويجيز له مذهبه الإلهى أن يعزو صفات إلهية متمايزة مختلفة الأسماء. وجاء هذا نتيجة لخبراته فى حياته وسط فلاسفة إيونيا والكهنة المصريين، والمجوسية الفارسية والأسرار الهللينية فى معابد اليوزيس وديلوس ودلفى وكريت، علاوة على هذا فإن الأفكار الكلتية والأيبيرية عن الرب والوافدة على أيدى الزائرين الأجانب من مثل أباريس لقيت ترحيباً لدى مجتمع كروتون الذى استوعبها.

وعرض فيثاغورس وصفا لكون به، على سبيل المثال، إله متعال، وجميع الأرباب على اختلافهم ممن يتوجه إليهم الرجال والنساء بالدعاء، ويسكن هؤلاء الفلك الأول الأعلى، واعتاد فيثاغورس فى أحيان أخرى أن يشير إلى الشمس والقمر والنجوم باعتبارها أربابا.

وقال فى معرض تفسيره إن هذه الأجرام السماوية هى أصل المبدأ الذى يمثل علة جميع الموجودات.

وتعلم فيثاغورس من كتابات أورفيوس أن الجوهر الخالد للعدد هو مصدر الخلود، واستدل من ذلك على أن الطبيعة الأساسية للأرباب طبيعة عددية، واستطاع من خلال الأعداد أن يعبد ويتناول مع الإله الذى تمثله فى صورة المثلث العشرى، "التيتراكتيس". ونرى فيثاغورس أحيانا أخرى يحاكى ممارسات أورفية بأن يصور الرب الأعلى فى صورة فلك يجسد وحدة الرب والقدرة على الإحاطة علما بكل شيء.

وجدير بالذكر أن من بين مجمع الأرباب الإغريقى نظر الفيثاغوريون نظرة إكبار قصوى إلى شخص أبوللو النصير الإلهى لمعلمهم وراعى الطب والنبوءة والموسيقى والفلسفة، وعمدوا وبقوة إلى المطابقة بين حكمة فيثاغورس وهذه الألوهية، لذلك نراهم وعلى الرغم من أنهم لم يذهبوا دائما إلى القول بأنه هو أبوللو نفسه، يكررون من القول ما يشى بهذا الظن ولم يحدث أبداً أن نهوا آخرين عن الإيمان بمثل هذا الرأى. وكثيرا ما كانت إجابتهم إذا ما التمسوا ما يؤكد أن ما قاله شخص ما هو الحق والصدق "من أنت، فيثاغورس" ويوحى هذا ضمنا أن فيثاغورس باعتباره أحد الأرباب فإنه مصدق لا يكذب.

واعتاد فيثاغورس أن يعلم أتباعه أن بالإمكان الاتحاد مع الأرباب بطرق ثلاث: أولا أن نبدأ بالتحدث إليهم سواء مباشرة أو عن طريق التأمل والصلاة والعبادة، أو عن طريق ممارسات وسيطة مثل الموسيقى والفلسفة والرياضيات. ثانيا من خلال السلوك القويم بأن نحاكى سبل حياة الرب وهى السبل التى استهدفت غرسها فى النفوس الطائفة الفيثاغورية. وثالثا الموت إذ مثلما أن التقشف والمجاهدات والأحلام وهذيان المرض تؤدى إلى انفصال طفيف للروح عن الجسد بحيث تبدأ الروح فى معايشة وكشف رؤى، كذلك يجب تطهر الروح إلى أقصى حد حال انفصالها عن الجسد عند الوفاة.

وقال فيثاغورس فى تعليمه إنه شيء يحدث مصادفة أو بالحظ، بل كل شيء يقع وفق خطة إلهية، وهذا ما يتضح جيداً من خلال قصة عن الفيثاغورى ثايماريداس من

نارنتيوم إذ بينما يبحر بعيدا عن بلده حضر جميع أصدقائه لمعانقته وتوديعه، وحين همَّ بالصعود قال له أحد المودعين "يا ثايماريداس أدعو أن يهبك الأرباب كل ما تحب وتهوى". أجاب " ادع يا صديقى من أجل شىء أفضل. ادع بألا يصيبنى إلا ما يتفق مع مشيئة الأرباب". ذلك لأن ثايماريداس كان يعرف أن من الخطأ الشك فى حكمة العناية الإلهية أيا كانت نتيجة الرحلة.

ونظرا لأن الأرباب هم مصدر كل خير فقد آمن فيثاغورس أنه ليس ممكنا فقط بل ضروريا أن نسألهم الهداية والرشاد، ولهذا نجد من بين الفيثاغوريين رجالا ونساء أتقنوا فن العرافة. وتعلموا احترام كل أشكال الكهانة سواء كانت نبوءات مقدسة أم قراءة الطالع فى أمعاء الحيوانات أم كشف الغيب عن طريق الأحلام. بيد أنهم نذروا أنفسهم لما تفوقوا به على الجميع وهو التنبؤ بواسطة الأعداد، والتكهن بالمستقبل وتلقى مشورة الأرباب عن طريق تأمل الماهية العددية للكون أو الكوزموس.

وأوضح فيثاغورس أن الأرباب تنعم علينا بهذا الدعم والتأييد ليس فقط كتعبير طبيعى عن خيراتها، بل وأيضا لأن أرواح الرجال والنساء شريكة فى المبدأ الإلهى، ونحن ننأى بأنفسنا عن هذا المبدأ، ونعانى خطر المرض والفقر واليأس حيثما نسلك سلوكا زائفا أو مفرطا أو ضد مشيئة الرب. لذلك من الضرورى ألا نغفل عن ذكر الأرباب فى جميع الأوقات، وأن نثنى عليهم، ونرد الفضل إليهم فى كل ما نظنه من إنجازاتنا نحن.

وعمد فيثاغورس إلى أن يذكر الأرباب بالإجلال والتوقير فى كل مناسبات حتى لا ينسى تسليمه بإرادة الأرباب. مثال ذلك أنه عند تناول طعام العشاء يجرى طقوس الإراقة (سكب الماء المقدس) تمجيدا لهم، كما علم تلاميذه الاحتفاء بالأرباب كل يوم بترتيل الترانيم. وكثيرا ما قدم لهم أضحية مقدسة فى صورة حبوب الذرة والكعك وأقراص العسل والبخور، وحرص على الاحتفاظ ببدنه طاهراً نقيا، وكثيرا ما شارك فى شعائر وطقوس التطهر.

ونصح فيثاغورس تلاميذه بالتزام الصدق فى الحديث كوسيلة لبلوغ الكمال بالهوية والاتحاد بالرب، ويبين أن التزام الصدق هو السبيل الوحيد لإضفاء صفة الألوهية على الرجال والنساء، وجدير بالذكر أنه تعلم هذا الدرس من المجوسية فى بابل ومن كهنة الرب زرادشت الذين عبروا عن عقيدتهم بعبارة موجزة هى "جسد الرب مثل الضوء، وروحه هى الحقيقة".

القسم الثالث

أفول المدرسة الفيثاغورية

موت فيثاغورس

أثار فيثاغورس منذ وصوله إلى كروتون الغيرة والحسد فى نفوس بعض القطاعات فى المجتمع، وحظى بالقبول من كل من التقى به وانخرط معه، ولكن ما إن شرع فى تقييد علاقاته وحصرها داخل دائرة سرية من التلاميذ والسياسيين حتى تغير الرأى العام الموالى له، وتزايد باطراد عدد من بقوا خارج دائرة فيثاغورس، وازداد سخطهم لإيثاره مواطنين آخرين عليهم، وبدأ البعض يتآمر علانية ويصرحون بأن أتباعه جمعتهم نوايا معادية ضد الشعب. ثانيا بعض الرجال الناقمين عليه كانوا من الأثرياء وذوى حسب من أسر نبيلة، ومن ثم فإنهم حال بلوغهم السن القانونية لم يقتصر أمرهم على تولى السلطة داخل أسرهم، بل وأيضًا تولوا إدارة شئون المدينة، وبلغ عددهم أكثر من ثلاثمائة، وأصبحوا يمثلون نسبة كبيرة داخل المجلس الحاكم، المجلس الألفى، وأصبحت آراؤهم موضوعا لحوار جاد وسط كل أبناء شعب كروتون.

زد على هذا أنه طالما كانت اهتمامات كروتون منحصرة داخل مدينتهم، ظل شعبها راضيا عن السلطة الأوليجاركية، سلطة القلة من الأغنياء، الحاكمة علاوة على نفوذ فيثاغورس وتأثيرهم على قادتهم فيما يتعلق بالعدالة والحرية، ولكن كروتون تغيرت وتوسعت. وأسست أو سيطرت على مستعمرات عديدة فى جنوب إيطاليا بما فى ذلك كولونيا وتيرينا بعد أن عانت من هزيمة ساحقة فى حربها ضد لوكرى. وهنا بلغت ذروة مجدها وقوتها حوالى عام ٥١٠ ق.م، وألحقت الهزيمة بمدينة سيباريس، ورغبة من الكرويتينيين تأكيد وضمان هذا النصر عمدوا إلى تغيير مجرى نهر كراتيس بحيث يفيض وغرق المدينة المهزومة ويمحوها من المشهد وإلى الأبد.

وكان النجاح العسكرى وتوفر الثروة الناجمة عن التوسع الإقليمى عاملا مشجعا لإحداث نقلة فى النفوذ السياسى وتحولا عن الأسر الحاكمة التقليدية، وبعد الاستيلاء على سيباريس لم يجر تقسيم وتوزيع الأرض حصصاً بين الشعب كما كان مأمولا بل اختص أهل السلطان بالأرض لأنفسهم، وصب الشعب غضبه على الفيثاغوريين واتخذهم هدفا له.

وتحولت المعارضة العامة إلى عداء نشط بفضل الدوافع الشخصية لأبناء الطبقة الأرستقراطية، مثال ذلك أن كيلون وهو كروتونى أرستقراطى بحكم الثروة والميلاد كان صاحب ميول تتسم بالعنف والطغيان والاستبداد، واعتبر نفسه الأفضل والأجدر ورأى أن من حقه عضوية الطائفة الفيثاغورية، لذلك قصد فيثاغورس وقد كان كهلا وقت ذاك، وتحدث مزهوا بنفسه وحسبه ونسبه وطلب عقد لقاء للتحدث معا. ولكن فيثاغورس بخبرته فى قراءة طبائع البشر رجالا ونساء من خلال الطبيعة والسلوك كما يتجليان فى الأبدان أصر على أن يترك المكان ويذهب لمباشرة عمله، واعتبر كيلون هذا إهانة له واستشاط غضبا.

ولذلك وجد فرصته فى الاضطراب الاجتماعى المتزايد فى كروتون، وبدأ فى اتهام فيثاغورس والتآمر ضده هو وزملائه، وأدرك كيلون وأتباعه أن الفيثاغوريين استمروا أصحاب سطوة على مدى عقود بفضل ما تحلو به من أمانة ونزاهة، لذلك رأوا أن أفضل فرصة لهم للسيطرة على المؤسسات السياسية فى كروتون هى انتهاز حالة الحماس المتزايد لحكم شعبى، وشرعوا فى شن حملة من أجل تكوين مجلس الشعب وتهيئة وظائف عامة لكل المواطنين وانتخاب ممثلين لمحاسبة مجلس الألف، وعارض الفيثاغوريون هذه المطالب واختلفت الآراء بشأن تغيير الدستور الموروث، ووجد أتباع كيلون أن هذه فرصتهم لإحراز تقدم حين غادر فيثاغورس كروتون وسافر إلى ديلوس لزيارة فيريسايديس الذى أشرف على الموت. وبينما كان الفيلسوف عاكفا على تمريض راعيه الأول فى أيامه الأخيرة استمد الكيلونيون جسارة من خلال تأييد الشعب لهم، وعرضوا على مجلس الألف اقتراحا لتأسيس مجلس شعب ونجحوا فى ذلك.

وعقد المجلس المشكل حديثا اجتماعا عقب ذلك، وهاجم كيلون ونائب شعبى يدعى نينون أثناء فى الدورة الأولى أربعة من قادة الفيثاغوريين بمن فيهم الطبيب ديموسيديس، ونسق الاثنان بدقة حججهما. وأدلى المهيِّج كيلون بأول وأطول خطاب، واختتم نينون بكلمة ادعى فيها أنه اخترق الأسرار الفيثاغورية وتوفرت لديه معلومات كافية لإدانتهم بالتآمر ضد الشعب، وعمدا إلى دعم اتهامه بفقرات اتخذها دليل اتهام استقاها من كتاب بعنوان "الخطاب المقدس" وتشير الفقرة حسبما افترض أن الفيثاغوريين وصفوا الشعب بأنه قطيع ماشية بحاجة إلى راع. هذا علاوة على المحاجاة لتأكيد ضرورة طاغية، إذ يقولون خيراً للمرء أن يكون ثورا ليوم واحد بدلا من أن يكون بقرة على مدى الحياة، ورأى نينون أن من العبث أن شعبًا ألحق الهزيمة بثلاثة آلاف نسمة فى معركة تهيمن عليه عصبة صغيرة العدد تتخذ السرية طابعا لها، وحذرهم من أن الفيثاغوريين إذا انعقدت لهم السيادة فى التشريع فإن الشعب لن يكون له الحق فى التجمع.

أثارت اتهامات نينون غضب الشعب حتى أضحت حياة وأمن الفيثاغوريين فى كروتون مهددة بالخطر، وبعد بضعة أيام التقى فريق منهم فى بيت ميلون أعظم أبطال جيله من الأوليمبيين وذلك لمناقشة ردهم على الموقف الخطر والمتدهور باطراد، واحتشد جمهور كبير فى الخارج، وأشعلوا النار فى البيت. واستطاع اثنان فقط من الفيثاغوريين الهرب والنجاة وهما أركيبوس وليزيس، ولم يحدث أى إجراء عام ضد من اقترفوا هذا الجرم الوحشى، ولهذا انسحب الفيثاغوريون من الحياة العامة.

واستمر تدهور الموقف بعد عودة فيثاغورس إلى كروتون، وذبح الغوغاء أربعين من الفيثاغوريين المجتمعين فى بيت أحد الإخوة، ووقع حادث آخر إذ بينما التأم شمل فريق من الفيثاغوريين لتقديم أضحية للموزيات (بنات زيوس التسع المشرفات على العلوم والفنون) فى منزل قرب معبد أبوللو استهدفهم حشد قصد قتلهم، ولكن الفيثاغوريين وصلهم تحذير مبكر، واستطاعوا الهرب من كروتون، واتهم الشعب آخرين بالتعاطف مع الفيثاغوريين ومناصرتهم ولهذا انتظروهم إلى حين عودتهم إلى المدينة واختطفوهم وقتلوهم.

وحاول فيثاغورس نفسه الهرب بقارب إلى كولونيا التى تبعد حوالى خمسين ميلا جنوب كروتون، وسافر من هناك عن طريق البر إلى لوكرى، وما إن سمع أهل لوكرى بمجيئه حتى أرسلوا شيوخهم إلى الحدود لاعتراض طريقه ومنعه من الدخول، وقال له "يا فيثاغورس نعرف حكمتك واحترامك، ولكن قوانيننا عادلة. لسنا بحاجة إليك هنا فى مجتمعنا. اذهب إلى أى مكان آخر وسوف نمدك بكل ما تحتاج إليه فى رحلتك" وهكذا غير فيثاغورس وجهته وركب سفينة إلى تارينتوم، ولقى المعاملة نفسها التى لقيها فى لوكرى، ولذلك واصل رحلته إلى ميتابونتوم.

وكانت الثورة ضد الفيثاغوريين قد عمت كل أنحاء جنوب إيطاليا وتم القبض عليهم كلاجئين وأعيدوا إلى كروتون، وجىء بقضاة من تارينتوم وميتابونتوم وكولونيا، وأدان هؤلاء بناءً على الرشوة الفيثاغوريين، وأرسلوهم إلى المنفى بعيداً عن الحدود، وعمد شعب كروتونيا بعد التخلص من الفيثاغوريين إلى طرد كل من لا يعلن ولاءه للنظام الحاكم القائم، وإبعادهم وأسرهم إلى خارج البلاد. ورفضوا الاعتراف بالديون وقاموا بتوزيع الأراضى من جديد.

وهب الغوغاء فى ميتابونتوم ضد فيثاغورس وأتباعه. وهذه قصة ظل السكان يتذكرونها على مدى أجيال تحت عنوان "الشغب الفيثاغورى" ولاذ الفيلسوف بمعبد الموزيات. وظل حبيس جدران المعبد فى ظل حماية قانون مقدس يحميه من أعدائه، ولكنه بقى بدون طعام إلى أن وافته المنية فى اليوم الأربعين وقد تضور جوعا، وبلغ آنذاك المائة عام من عمره تقريبًا، وظل على رأس الطائفة الفيثاغورية فى كروتون قرابة تسعة وثلاثين عاما، ويحكى التراث أن فيثاغورس، وورى التراب فى ميتابونتوم.

أتباع فيثاغورس

تلقت تعاليم فيثاغورس الضربة شبه القاضية بسبب تدمير الطائفة فى كروتون وقتل ونفى فيثاغورس وأتباعه، ونظرا لأنه حظر تسجيل فلسفته كتابة، علاوة على أن تلاميذه نسبوا كتاباتهم هم إلى فيثاغورس وليس لأنفسهم فإن المدرسة بقيت بدون أى سلطة مرجعية معترف بها ويمكن الاعتماد عليها لإعادة بناء أسسها من جديد. زد على هذا أن الشعور العام المعادى للفيثاغوريين فى جنوب إيطاليا أجبر من بقوا على قيد الحياة من بعده على الاستيطان من جديد فى المدن التى نظر أهلها إليهم بازدراء وعدم ثقة، أو الإقامة فى مجتمعات محلية قاصيه، حيث عاشوا وليس لهم فيها نفوذ يذكر وعلاقات محدودة.

فر بعض الفيثاغوريين إلى اليونان، حيث كان لهم نفوذهم على الفلسفة فى أرض اليونان الأم، وازدهرت هذه الفلسفة فى القرن الخامس ق.م تقريبًا، وهذا هو ما يصعب تتبع أثره ومساره.

و لعل أقرب هؤلاء إلى فيثاغورس هو ديموسيديس الذى اختلطت حياته مع حياة الفيلسوف منذ أيامهما فى ساموس.

ونعرف أن ديموسيديس هو ومن فروا معه امتشقوا أسلحتهم للدفاع عن أنفسهم وهزمهم أهل كيلون فى معركة حربية خارج كروتون، وانسحب من بقوا على قيد الحياة، ومنهم ديموسيديس إلى بلاتايا، ولكن ليسيز وهو تلميذ نجا من النار التى اشتعلت فى بيت ميلون مع بداية الانتفاضة، فقد انسحب أولا إلى أكايا شمال جزر البيلوبونيز ثم منها إلى طيبة واشتغل هناك معلما لواحد من أعظم القادة العسكريين

تميزا فى اليونان القديمة واسمه أيبامينونداس، وقيل إن ليسيز خلف وراءه مجموعة من الكتابات التى نسبها البعض بعد ذلك إلى فيثاغورس نفسه، وهى كتابات ملغزة بلغة سرية وتحمل قبسا من حكمة الفيلسوف.

ويذكر التاريخ أن أركيبوس الذى فر مع ليسيز من حريق بيت ميلون عاد إلى مدينته التى نشأ فيها وهى تارينتوم، وقيل إنه هو أيضا ألف كتابا عن التعاليم الفيثاغورية، ولكن كتاباته، مثلها مثل كتابات ليسيز تبدو مبهمة وغير ذات معنى واضح أو مهم بحيث تكون مادة للدراسة للمبتدئين، وجدير بالذكر أن المدرسة التى أسسها أركيبوس فى تارنتوم أثرت فى أفلاطون بعد قرن من الزمان، وكان أفلاطون قد أتى إلى هناك للدراسة على يدى أركيتاس المعلم الثامن فى مسلسل خلفاء فيثاغورس.

ورحل كثيرون من الفيثاغوريين إلى صقلية، حيث استقروا معا فى ريجيوم. وبقى آخرون فى جنوب إيطاليا، وكان من بين هؤلاء أرستايوس الكروتونى المعاصر لفيثاغورس، والذى اختاره خلفا له على رأس الطائفة، وتثبت المصادر القديمة أنه تولى رعاية أبناء فيثاغورس كأنهم أبناؤه، وتزوج بزوجة فيثاغورس ثيانو، وبعد أن توفى القادة الذين حرضوا على الفتنة، وبعد أن أحست المدينة بالأسى لما حدث سابقا، فقد قبل على ما يبدو، أرستايوس دعوة المواطنين أهل كروتون للعودة إلى مدينتهم وإعادة تأسيس طائفة فيثاغورية هناك.

وأرسل شعب كروتون رسلا لتشجيع المنفيين، وتعهدوا بأن يقسموا قسم التوبة والسلم فى معبد دلفى، وعاد حوالى ستين شخصا رجالا ونساء، ولقى الفيثاغوريون العائدون ترحيبا واسعا من الجماهير التى احتشدت وألزموا دعاة الانشقاق والفتنة الصمت بأن أكدوا لهم أن نظام حكم نينون انتهى.

ويمكن تتبع خلفاء أرستايوس الذين تولوا رئاسة المدرسة الفيثاغورية فى كروتون على مدى أجيال عديدة، وجدير بالذكر أن هذه المدرسة لم يذكرها التاريخ فى أواخر

القرن الثالث ق.م. وأول هؤلاء الخلفاء مينساركوس بن فيثاغورس، ثم بولاجوراس وجارتيداس الكرتوني، وأريساس من لوكانيا وديودوروس من أسبندوس، ولوحظ أن هؤلاء الرجال، مثلهم مثل تلاميذهم امتدت بهم الأعمار كثيرا، ولكن ليغادروا أخيرا الأبدان وكأنهم تحرروا من القيود.

خاتمـــة

على الرغم من أن المدرسة الفيثاغورية فى كروتون لا يذكرها التاريخ فى أواخر القرن الثالث ق.م، فإن تعاليم فيثاغورس لم تضع تماما مثلها، مثال ذلك أن كتابات أفلاطون تأثرت كثيرا بها خاصة محاورتى طيماوس Timaeus وفيدو Phaedo، واكتست صيغة الأفلاطونية الجديدة فى القرن الثالث، ثم امتزجت بعد ذلك بجوانب من المسيحية الأولى. ونفذت الأفكار الفيثاغورية إلى التيار الرئيسى للفكر الغربى، وأسهمت فى صوغ ما يوصف بعبارة "الفكرة العظمى" "The Great Idea"، لثقافتنا.

ونحن لكى نشخص معالم هذه الفكرة ليس علينا سوى أن نلقى نظرة إلى فيثاغورس نفسه، مثال ذلك أنه قد ساد اقتراح يرى أن للفكر الفيثاغورى جانبين، أحدهما صوفى ودينى، والآخر علمى رياضى. بيد أن هذين الجانبين تربطهما ببعضهما رؤية موحدة، وهذه الرؤية توجزها كلمة جامعة هى التناغم، وسواء نظرنا إليها باعتبارها مظهرا للتوافق الأصيل فى العدد والموسيقى، أو فى الجمال والنظام الذى يصوغ الكوزموس، أو الانسجام الشخصى الذى كان يمثل الهدف النهائى للحياة الفيثاغورية، أو معايشة وممارسة الصداقة / المحبة فى العلاقات الاجتماعية، فإننا نجد التناغم "الهارمونيا" هى قلب تعاليم فيثاغورس الذى نراه سائداً فى كل جوانب حياته.

وجدير بالذكر أن مفهوم الكون المتناغم المنظم وفقًا "لسلسلة الوجود العظمى" متصل المادة والبدن والعقل والنفس والروح - تمثل واحدة من الأفكار الرئيسية للفكر الغربى، ونراها على سبيل المثال مجسدة فى أمثلة لا حصر لها من الكوزمولوجيا (الكون ونواميسه) والأدب والعمارة واللاهوت والفن، ونراها كذلك فى أعماق

مؤسساتنا العلمية والتعليمية مثلما نراها مؤثرة بعمق فى المفكرين الغربيين ابتداء من أكويناس وحتى كيبلر ومن نيوتن وحتى أينشتين، ولنا أن نتتبع جذور هذا كله وصولا إلى تعاليم وتساؤلات فيثاغورس.

ونرى حسب هذه النظرة، أن حياته وأعماله يؤثران فينا حتى اليوم، ولكننا نجد كثيرين، وربما الغالبية من الناس، قد يتفقون معنا على أن فكرة التناغم "الهارمونيا" قد تمت ترجمتها ترجمة ناقصة فى نطاق السلوك البشرى. ولعل التحدى الذى يواجهنا فى عصرنا هو أن نستعيد من جديد هذا الفهم الفيثاغورى لأنفسنا وللكوزموس، وطبيعى أن أى نجاح نحققه وصولا إلى هذا الهدف سيكون مؤسسا، فى الجزء الأكبر منه، على الإنجازات الفذة لفيلسوف بلدة ساموس.

القسم الرابع

القصائد الذهبية

القصائد الذهبية

تمهيد

تتألف القصائد الذهبية من واحد وسبعين بيتا من الشعر اليونانى مكتوبة وفق الوزن الشعرى عند هومير، وعند فلاسفة مثل أمبيدوقليس وبارمينيدس، ويمثل هذا النظم مقدمة موجزة للأسلوب الفيثاغورى فى الحياة، ويرجع إيجاز الشعر إلى أسباب منها أن القصيدة تشير إلى سلطات مرجعية أخرى لمن شاء مزيدا من المعرفة التفضيلية - مثال ذلك القسم الفيثاغورى فى البيت الثانى كما تشير إلى أعمال تحمل اسم "التطهر" و"خلاص النفس" فى الأبيات الختامية، وواضح أن القصيدة تستهدف قراء لديهم ألفة سابقة بشخص فيثاغورس وتعاليمه.

ومع ذلك تؤلف "القصائد الذهبية" مصدرا مهما لمعارفنا المعاصرة عن الفيثاغورية القديمة خاصة بعد فقد الأعمال الأخرى، وتؤكد القصيدة فى كل أبياتها على فضيلة يقظة الوعى - أى ضرورة أن يتأمل المرء أعماله قبل وفى أثناء وبعد أدائه لها. ويتسق هذا مع نصيحة فيثاغورس بأن يتعالى المرء عن أحداث اليوم عندما يحل المساء وقبل أن يأوى إلى فراشه، ويتعين عليه كذلك إيقاظ الذاكرة واستعادة تذكر أعمال الماضى بما فى ذلك الحيوات الماضية. ومن المفترض أن مثل هذه العادة التى يتربى عليها العقل تستقر عن وعى مكافئ لوعى الأرباب. ليس فيثاغورس هو صاحب القصائد الذهبية - إذ يشار إليه فى منتصف القصيدة فى عبارة "ذلك الذى ائتمن روحنا على المثلث العشرى"-، ولكن صاحبها أحد الزعماء الذى تولى فى مرحلة تالية رئاسة الطائفة الفيثاغورية ولم يحفظ لنا التاريخ اسمه.

و ثمة خلاف أيضا بشأن تاريخ القصائد. وشاع أن تاريخها يرجع إلى حوالى القرن الرابع ق.م. وطبيعى أن صعوبة تحديد تاريخها بدقة شهادة على أنها تبلغنا حقائق لا زمانيه.

القصائد الذهبية

المجد أولا للأرباب الخالدين، حسب المقتضى

واحترام القسم.

والمجد ثانيًا للأبطال المغاوير المبجلين ولأرواح الموتى

بأن نقدم الأضحيات التقليدية

المجد لوالديك ولأقربائك، أما عن الآخرين

فالود والصداقة مع كل من تميز بالفضيلة

لتكن لينا مع الكلمات الرقيقة والأفعال المفيدة ولا تبغض

صديقك من أجل خطأ تافه فالعفو عند المقدرة .

فالقدرة والضرورة صنوان.

اعرف هذه الأمور، والتزم ضبط النفس عند ممارسة

الآتى. شهوة الطعام، وشهوة النوم، وشهوة الجنس والغضب.

لا تفعل ما تخجل منه فى حياتك الخاصة أو مع آخرين.

احترم نفسك قبل كل شيء

التزم جانب العدالة فى القول وفى الفعل، واحذر

عادة السلوك دون التفكير فيما أنت بصدده.

اعرف أن الموت حق على الجميع، وأن الثروة

قد تكتسبها حينا، وقد تفقدها حينا آخر.

و أيا كانت النوازل التى تصيب أهل الثراء فهى ابتلاء إلهى.

وأيا كان قدرك تحمّله دون شكوى. ولكن حقك

أن تحسنه قدر الاستطاعة. وتذكر دائما:

القدر لا يبتلى الأخيار بالكثير والكثير من الأحزان

وقائع كثيرة تصيب البشر؛ وضعاف ونبلاء على السواء.

لا تدهش لذلك، ولا تدع النفس تضيق بها.

إذا قيلت لك كذبة ما استمع إليها بادى البشاشة.

ولكن أيا كان ما أقوله لك دعنى أكمل الحديث.

لا تدع أحداً يحرضك بكلمة أو بفعل على عمل أو قول

أيا كان ليس فيه خيرا لك.

تدبر أمرك جيدا قبل الإقدام على الفعل لكى تنأى بنفسك على الحمق :

المأفون هو من يتكلم ويفعل دون تدبر أو تفكير

افعل فقط ما لا تأسف عليه فيما بعد.

تجنب فعل أى شىء تجهله

ولكن تعلم ما هو ضرورى.

هكذا تكون حياتك أكثر امتاعا ورضى.

حرى ألا تغفل العناية بصحة البدن،

وليكن طعامك وشرابك ورياضتك بقدر.

وأعنى بكلمة "بقدر" كل ما لا تأسف عليه فيما بعد

مارس الحياة بأسلوب صاف نقى، دون إسراف

واحذر أى فعل يثير عليك الحسد

لا تبذر فى الإنفاق فتكون مثل إنسان غير عابئ

بما هو خير وغافل عما يصيبه من بؤس.

الوسطية هى الأفضل فى كل الأحوال.

افعل ما لا يضرك وفكر مليا قبل الفعل

لا تدع النوم يغمض عينيك المتعبتين قبل أن

تراجع أحداث نهارك ثلاث مرات فيما أخطأت ؟

ماذا أنجزت ؟ فيما أخفقت وماذا كان ينبغى أن أفعل ؟

انطلق من البداية وصولا إلى النهاية.

وأنب نفسك على أخطائك. وانشرح صدرا بأفعالك الخيرة.

اجتهد لهذه الأفعال، مارسها، فهذه هى الأفعال

التى ينبغى أن تنشدها ؛ إنها ستضعك على طريق

الفضيلة الإلهية - نعم، بفضل ذلك ائتمن روحنا

على المثلث العشرى، نبع الطبيعة الفياضة دوما.

صلى للأرباب سائلا النجاح ثم ابدأ العمل.

تشبث بكل هذه الأمور، ستعرف عالم الأرباب

وأهل الفناء، العالم الذى ينفذ إلى ويتحكم فى كل شىء.

وسوف تعرف أيضا، عن حق، طبيعة مماثلة

من كل الوجوه، وهكذا لن تراودك آمال غير معقولة،

ولا غافلا عن أى شىء.

ستعرف أن أهل البؤس هم علة المعاناة،

من لا يرون ولا يسمعون الخير القريب منهم،

وقليلون هم من يعرفون كيف يكفلون الخلاص

من مشكلاتهم. هذا هو المصير الذى يؤرق عقولهم ؛

إنهم أشبه بالحصى تتقاذفهم الريح من مكان إلى آخر

وهم فى قلق متواصل.

أبانا زيوس، يا من بالحقيقة ستحرر كلا منا من

الكثير من الشرور إذا ما كشفت لهم المصير المرسوم.

تشجع، لأن البشر من نسل الأرباب

والطبيعة تكشف لهم بسخاء كل ما هو مقدس.

وإذا حرصت على الالتزام بكل ذلك سوف ينصلح أمرك

إذا ما تشبثت بما آمرك به وتخلص روحك

من هذه المشكلات.

التزم وامتنع عن الأطعمة التي ذكرناها في

كتابي "التطهر" و"خلاص الروح" وحكم العقل

في كل الأمور، فالعقل هاديك وله السيادة.

وحين تخلف البدن وراءك وتحلق في الهواء الحر

ستكون خالداً، ربا لا يموت، ولم تعد من أهل الفناء.

هوامش

(١) للاطلاع على عرض شامل للبحوث الراهنة عن الوعى، انظر شير Shear (١٩٩٧)

(٢) من المهم أن نلحظ، حسب ما تفيد أساطير كثيرة أن الموسيقى السحرى أورفيوس الذى قال فيثاغورس عنه إنه مدين له فيما يختص بكثير من تعاليمه، شارك أيضا فى رحلة أرجو Argo.

وقيل فى موضع ما إنه أنقذ أرجونوتس من غواية السيرانات Sirens ساحرات فى الأسطورة الإغريقية يسحرن الملاحين بغنائهن ويوردهن موارد الهلاك - المترجم العربى) بأن تفوق عليهن فى الغناء.

(٣) تلاحظ أن دراسة أصل كلمات أرباب فيريسايديس Pherecydes لها دلالة خاصة، إذ يبدو أن زاس Zas يتطابق مع زيوس، وهو قوة ذكرية نشطة، كذلك يبدو أن كتونى Chthonio ذات علاقة بكتون Chronas هو الكلمة الإغريقية الدالة على الزمن.

(٤) هذا التفسير الذى يذكرنا بالأشكال الشرقية لعمل البدن مثل التاى شى ممثل شكل الكلمة الإغريقية التى استخدمها يامبليكوس وهى كلمة .Cheironomia ، والأصل التاريخى لاستعمال الكلمة يوحى بحركة اليدين.

(٥) قارن شوانج تسو... الحكيم الحق يتخذ وصفه تأسيسا على جمال الكون، ويسبر غور المبادئ الأساسية للمخلوقات.... من هنا القول بأن الإنسان الكامل لا يفعل شيئا، والحكيم الحق لا يؤدى عملا، سوى التحديق فى الكون. انظر Van Cover (١٩٧٣) .

(٦) أعتقد أن من الضرورى أن نبدأ بالتمييز بين ما هو موجود دائما ولا يتغير، وبين ذلك المتغير دائما وليس موجودا أبداً؛ الأول ندركه بالعقل والاستدلال، وأنه هو هو إلى الأبد، والثانى هو موضوع الرأى والإحساس اللاعقلانى، يتغير ويكف عن الوجود، وليس حقيقيا كاملا أبداً.

(٧) المعرفة المنقولة فى صورة رموز سرية والمحملة بالكثير من المعانى تبدو إحدى الخصائص المميزة للأدب القديم، وغالبا ما يجرى تلخيص متن كامل فى الكلمة الأولى.

ويشير كارلو سواريس Carlo Suares (١٩٩٩) إلى مثل هذا البناء اللغوى فى سفر التكوين " فى قسوة بدايته، وفى فصله الأول، وفى متتالية الأولى من الأعداد، نجد البذرة، ونجد الكل داخل البذرة، ووصف إرنست ماكلين (١٩٧٨) بناء لغويا مماثلا فى محاورة أفلاطون "طيماوس"، هذا بينما اكتشف ماهاريشى ماهيس اليوجى أن الكتاب المقدس ريج فيدا موجز فى الكلمة الأولى.

(٨) بعض المشكلات فى مجال الرياضيات نجد من الصعوبة بمكان أن نعزوها عند الكتابة عن فيثاغورس، ونلحظ عند تحديد أصل الأفكار الفيثاغورية عن العدد أن بعض السلطات المرجعية يعزون لب النظرية إلى فيثاغورس نفسه، ولكن يرون أنه تم إحكامها تفصيليا على أيدى كتاب فى مرحلة تالية ونسبوها إلى فيثاغورس، ونجد كثيرا من الباحثين تستهويهم فكرة أن فيثاغورس نفسه استحدث فكرة العدد كمبدأ أول للكوزموس. خاصة أرسطو عندما يقرر ذلك فى كتابه " الميتافيزيقا "، ولكن أرسطو أيضا هو الذى أوضح أن الفيثاغوريين اعتادوا النظر إلى الأعداد باعتبار أنها أحجام مكانية – ربما فى إشارة إلى مذهب عددى قديم اعتاد أن يقدم الأعداد كمجموعات من النقاط أو حبات الحصى، (وجدير بالإشارة أن كلمة حصى، مأخوذة من الكلمة اللاتينية والتى تشتق منها كلمة حساب، ولكن النظام الميتافيزيقى الأكثر تجريداً المبنى على رمزية الأعداد، والذى ثبت أنه أثر بقوة فى أفلاطون ربما نشأ فى فترة تالية، وربما صاحبه هو فيلولاوس Philolaus فى الشطر الأخير من القرن الخامس.

ونحن هنا بصدد تفسير مختلف استمدته نظرتان مختلفتان للتاريخ. وينزع الباحثون المعاصرون إلى النظر إلى الفكر العلمى والكوزمولوجى للعالم القديم باعتباره فكراً قديما وخرافيا، وهذه فكرة دعمها أرسطو حيث إن قدرا كبيرا من كتاباته استهدفت بشكل خاص تصوير الفكر الفيثاغورى على أنه خليط مشوش وغير متسق. وثمة باحثون آخرون من مثل جون ميتشيل John Michell، آر. إيه. شوالار دى لوبيتس نراهم يأخذون أفلاطون على نحو حرفى للغاية عندما يكتب عن حكمة القدماء الذين يعتبرهم بالمقارنة بالإغريق الكلاسيكيين مجرد أطفال، إنهم يدعمون هذه الفكرة من خلال تفسير جديد للمذاهب العلمية والكوزمولوجية القديمة، ويكشفون عن صور لفهم العالم موازية لفهم الفيزياء والكوزمولوجيا فى العصر الحديث وإن صدرت مغلفة بمذاهب رمزية شديدة الاختلاف.

ورغبة منا فى تجنب النزاعات الأكاديمية التى لا يمكن على الأرجح حسمها، عمدنا إلى تقديم النظرة الفيثاغورية عن العدد باعتبارها عملا موحداً ونسبنا إلى فيثاغورس نفسه ما وصفته المصادر القديمة بأنه " فيثاغورى ".

(٩) تمثل شخصية أورفيوس حافزاً أسطوريا نموذجيا معبرة عن أصل قديم جداً ولها انتشارها العالمى، ولعله مشهور أكثر فى العالم الحديث من خلال قصة نزوله إلى هيدس "العالم السفلى" ليصلح من أمر زوجته "إيوريدايس"، وهذه قصة صورتها العديد من الأوبرات وكم كبير من الأعمال الأدبية واللوحات فى الغرب. ونرى فى الوقت نفسه أن أورفيوس اعتبرته مدارس صوفية فى الغرب الحلقة الرئيسية من سلسلة تاريخية من المعلمين، والتى تضم زرادشت وهيرميس مثلث العظمات وأورفيوس وأجلاو فاموس Aglao Pha-mus وفيثاغورس وأفلاطون.

انظر ميد Mead (١٩٦٥) وإذ يقال إن فيثاغورس تعلم من أورفيوس أهمية العدد، فإن أورفيوس يصوره التاريخ فى صورة الموسيقى الإلهى الذى يسحر الأرباب، والبشر والحيونات بصوته وعزف قيثارته، ويعتبر فيثاغورس إلى حد كبير جداًجزءًامن هذا التراث بفضل قدراته الموسيقية والرياضية.

النظرية التى تحمل الآن اسمه ..." تعبر عنها الكتب الدراسية بشكل نمطى عن النظرية فى صيغة
أ٢= ب٢ + جـ٢

تتجلى الموناد باعتبارها العدد واحد..." يحرص غالبية المعلقين على التمييز بين الموناد والعدد ١ على الرغم من أن المصطلحين يجرى استخدام أحدهما محل الآخر فى أكثر الكتابات التى تتحدث عن نظرية العدد عند فيثاغورس.

(١٠) مصطلحا محدود وغير محدود يمكن اعتبارهما غير بديهيين إذا ما طبقناهما على الموناد والثنائى.

وإذا اعتبرنا الموناد تشير إلى القيمة اللانهائية للوحدة الأساسية لكل ما هو نسبى وللخلق المتنوع، فإنها سوف تبدو غير محدودة أكثر من كونها محدودة فى طبيعتها إلى أن نفهم أن المصطلح الإغريقى لا يعنى بلا حدود، وإنما يعنى به نظام كامل.

و هذا النظام هو ما نفقده عند أنقسام الموناد لينبثق عنها الثنائى، والثلاثى ثم جميع الخلق.

ويتجلى هذا فى نظرية نشأة الكون Cosmogony التى ينسبها أرسطو إلى فيثاغورس فى كتابه الميتاميزيقا أو ما بعد الطبيعة. وجدير بالذكر أن أرسطو ليس واضحا بالمرة فى هذا الصدد، وعمدنا فى كتابنا إلى تأكيد خلق العدد من الواحد وعبر العملية التى يشير إليها شواللور دولوبيكس Schwaller do Lubic (١٩٩٨) ويصورها على أنها الانشطار الأولى. وكتب ليفارى Leavarie عن شمولية هذه النظرية عن أصل الكون ونشأته مع ربطها بالموسيقى وبالعدد على السواء. "فكرة النشوء والتكوين فى شمولها عن طريق الانقسام هى ميراث متعال للبشرية. إنها تهيمن على الإصحاح الأول من الكتاب المقدس ... ونجد الفكرة نفسها تحدد تفسير أفلاطون للخلق ... ويعتبر أفلاطون مدينا لفيثاغورس فيما يتعلق بهذا التفسير لمبدأ النشأة والتكوين أيا كان. ونعرف أن فيثاغورس له تجاربه على الآلة أحادية الوتر وعلّم على هديها حقيقة عامة عن الكون."

(١١) العلاقة بين الثنائى والربة ريا Rhea تمثل توازيا آخر مهما بين التراث الإغريقى وتراثات أخرى أقدم تاريخا. مثال ذلك أن ساراسواتى Saraswati ربة الموسيقى والكلام فى التراث الهندى تؤدى دورا يكاد يكون متطابقا فى نظرية نشأة الكون التى تحكيها الفيدا الكتاب المقدس للهندوس، وأن الجذر السنسكريتى للاسم يعنى أيضا يفيض. وهناك من رأى أنها تمثل فيض الوعى داخل عقل الخالق. ويرونها كذلك الصوت الأولى فى البداية للخلق. وتمثل على مستوى آخر فيض الكلام اللازم لنقل المعرفة.

(١٢) الرباعية Quadrivium وإن اعتمدت على نظرية فيثاغورس للعدد باعتبارها المبدأ الأساسى للكون، وتصوغ لب المنهج التعليمى فى أكاديمية أفلاطون، ربما صاغها بروقلوس فى صورة المباحث الأربعة التى تشتمل على الحساب والموسيقى والهندسة والفلك، ويرجع المصطلح ذاته إلى القرن السادس وقتما كتب بويتيوس Boethius، وهو كاتب رومانى والذى دون المقرر التعليمى الفيثاغورى ونقله إلى العصور الوسطى علاوة على الفنون الثلاثة للغة (المنطق والبلاغة والنحو). وأصبح يعرف منذ ذلك التاريخ بالفنون الليبرالية السبعة.

(١٣) تكشف دراسة الأصل التاريخى للكلمة اليونانية هارمونيا أن معناها يتجاوز المعنى الإنجليزى لكلمة "Harmony"، بل وحتى "التناغم الإلهى" الذى اتخذناه عنوانا لكتابنا، إنها تعنى الآن عمليا

المعنى الخاص بالسلم الموسيقى أو الطراز أو كما هو الحال عند أفلاطون الفكرة الميتافيزيقية للتناغم أو التوافق. بيد أن معناها الأول قديما مستمد من النجارة أو بناء السفينة ويعنى التثبيت أو التركيب والتشبيك كما هو الحال عند تركيب مفاصل خشبية بالنجارة، وإن هذا المعنى الأصلى للربط والتشبيك بين عناصر متفرقة يوحى بنوع من التوازى مع كلمة يوجا Yoga فى اللغة الهندية القديمة السنسكريتية، والمشتقة من جذر يعني يقيِّد بالنير، ويشير أيضا إلى توليف قيم متعارضة داخل وحدة واحدة.

(١٤) آلة الأولوس وهى آلة نفخ قديمة فى اليونان القديمة كثيرا ما يترجمها البعض الناى والفلوت على الرغم من أنها آلة مكونة من قصبتين، والفكرة الأساسية هنا هى المقابلة بين آلات النفخ والآلات الوترية بشكل عام. وكان فيثاغورس يؤمن بأن الآلات الوترية لها فعالية أكثر فى العلاج، وهو بذلك يضع نفسه فى مصاف التراث الصينى والهندى والكلتى وغيرها التى تربط بين آلات النفخ والتسلية والجانب الحسى الشهوانى على عكس الآلات الوترية الشائعة فى الفن الشعبى فإنها تعبر عن الروحانية والجانب الذهنى.

(١٥) هذه عبارة مهمة فى تاريخ الموسيقى. والفكرة هى أن السلالم والألحان الموسيقية المختلفة تلائم الأداء فى مواسم محددة أو أوقات معينة من النهار. وتظهر هذه كخاصية لدى القدماء خاصة النظم الموسيقية الشرقية. ونلحظ مثل هذه الممارسات فى تراث لا يزال حيا ويكفى تأمل الموسيقى الهندوسية الكلاسيكية فى شمال الهند، وتكشف البحوث عن جذور هذه الممارسات West brook (١٩٩٨) (عن روابط بالتفكير الكوزمولوجى وبالنظم الطبية القديمة، إذ نجد هنا توازيا مذهلا بينها وبين نهج فيثاغورس مع الموسيقى.

(١٦) تمثل موسيقى الأفلاك، التناغم أو الهارمونيا من حيث صورتها المفهوم المحورى للفكر الفيثاغورى. وكشفت عن سيطرتها القوية على خيال الأجيال التالية وجدير بالذكر أن جامى جيمس Jamie James (١٩٩٣) زاوج بين هذه الفكرة وفكرة سلسلة الوجود العظمى. ويقدم تفسيراً مفاده أن هذه المفاهيم "... تضرب بجذور عميقة فى أعماق ثقافتنا وسرت فى التراث المسيحى ولا تزال متمحورة وبقوة فى عصر النهضة وعصر العقل."

(١٧) إذا سلمنا بقدم عهد المصادر التاريخية للسيرة الذاتية وما تحمله من عدم يقين قد يبدو أن من التزيد فى الكلام أن نذكر قصة فيثاغورس ومحل الحداد باعتبارها قصة مشكوكًا فى صحتها، ولكن هكذا جرت العادة فى النظر إلى الموضوع. وتظهر القصة أيضا فى مصادر قديمة غير فيثاغورية. علاوة على هذا فإن بعض البيانات السماعية منحولة. مثال ذلك الوصف الأصلى الذى قدمه يامبليكوس عن فيثاغورس وهو يشد الأوتار حسب الوزن لتغيير قرار النغمة. هذا كله لا يفيد، إذ إن قرار نغمة وتر مشدود يختلف باختلاف مربع الوزن، ولكن هذا القول ليس من شأنه أن يقلل من سحر القصة ودلالتها حيث، إن النسب الموسيقية المحددة وكذا أناقة دلالتها الحسابية والكوزمولوجية صحيحة.

ويبدو أن بالإمكان تحصيل معلومات كثيرة من القصص المنحولة - إذ لم تسقط تفاحة عمليا على رأس نيوتن ؛ وربما لم يدق لوثر إعلان آرائه بالمسامير على باب الكنيسة (إذ أرسلها بالبريد). ولا دليل على

أن أرشميدس قفز من حوض الاستحمام وهو يصرخ " إريكا " وجدتها. بيد أن المبادئ التى تم نقلها لها أهمية قصوه. ولنا أن نقيم القصة بهذه الروح.

(١٨) إنها مسألة مصادفة محضة أن كانت مطارق فيثاغورس لها هذه الأوزان الدقيقة والمحددة. إن الأعداد ٦، ٨، ٩، و١٢ هى أصغر متتالية فى كل الأعداد التى تشمل على النسب ١ : ٢ (٦ : ١٢)، ٢ : ٣ (٦ : ٩ و٨ : ١٢) و٣ : ٤ (٦ : ٨ و٩ : ١٢) التى تولد الثمانى (الأوكتاف) والرباعى والخماسى.

(١٩) إن نهج فيثاغورس فى الموسيقى تم تدوينه فعليا فى كتاب عن الموسيقى De Musica تأليف بويتيوس Boethius. وهذا كتاب تميز بتأثيره المهول إذ تضمن نموذجا للرسائل الجامعية عن الموسيقى لعدة قرون. ويرى بويثيوس أن هناك ثلاثة جوانب للموسيقى: موسيقى عالمية Musica mundane وهى التناغم الرياضى للكون، وموسيقى بشرية Musica humand وهى تناغم الروح البشرية والبدن، وموسيقى آلية Musica instrumentalis وهى الموسيقى بالأدوات كما نفهمها عادة، وحسب هذه النظرة فإن الموسيقى الآلية ما هى إلا ظل للموسيقى الحقة والعمق، ولكننا نستمتع بها لما تمنحه لنا من قبس يدمجنا فى نظام العالم والروح والتناغم بينهم.

(٢٠) " الفلك والكوزمولوجيا ". عنوان هذا الفصل جرى اختياره لتأكيد حقيقة أن التأويلات الحديثة للفكر القديم تنزع لجعل غلطة أخذ النظم الرمزية بشكلها الحرفى. أو على العكس، الوقوع فى خطأ التصنيف بترك مستوى للخلق بديلا عن آخر.

ليس لنا أن نفترض أن إشارات فيثاغورس إلى النجوم والكواكب أنما يقصرها على النظام الشمسى الطبيعى، وإنما هذه أيضا إشارات إلى الأوصاف الكوزمولوجية لمختلف مستويات الخلق؛ التى تعتبر السلف الأول لفكرة سلسلة الوجود العظمى. انظر لافجوى Love Joy (١٩٦٤) وويلبار Wilber (١٩٩٨) . إن ربط التربة بالهواء والنار والماء لا يعتبر بوضوح كوكبا داخل منظومة فلكية مرئية، بل هى أحد العناصر فى منظومة كوزمولوجية. وجدير بالذكر إذا تأملنا الكثير من التعاليم الغربية ابتداء من الأورفية والهرمسية Hermeticism وحتى القرن السابع عشر نجد أن الشمس مستخدمة رمزًا لمنبع النور الروحى والحياة فى الكون، ونجد مثالا أوليًا على هذا النزوع عند أفلاطون الذى يستخدم الشمس رمزا للخير، مصدر كل الحقيقة الواقعة، وهكذا يصر أفلاطون فى "الجمهورية" على أن القيمة الباطنية الأصلية للوعى أنه المصدر الأولى للمعرفة الكوزمولوجية: يقول "النجوم التى تزين السماء، حقا إننا نراها وعن صواب أدق وأكمل الموجودات المشاهدة، إلا أنها أدنى مستوى بكثير فقط لأنها مرئية بالقياس إلى الحقائق الصادقة، أى بالقياس إلى السرعات النسبية الحقيقية، فى الأعداد البحتة والأشكال الكاملة للمدارات وما تحمله، وهى مدركة بالعقل والفكر وليست مرئية بالعين".

(٢١) من المهم أن نرى أن هذا النهج فى التعامل مع النشاط الجنسى، مثله مثل جوانب كثيرة فى الطب الإغريقى، إنما يعكس حالات حرمان مماثلة فى النظام الطبى الهندى القديم آيور فيدا Ayur Veda. وتشير هذه التوازيات إلى روابط بين الفكر الفيثاغورى ومصادر شرقية قديمة كثيرة.

(٢٢) أباريس من أهم الشخصيات وأكثرها غموضا فى الديانة الإغريقية، القديمة. لا ريب على الإطلاق فى أنه كان كاهنا وفد إلى الشمال فى رحلة سياحية، لزيارة المعابد الإغريقية. فقد ذكر رحلته كل من هيرودوت وبيندار Pindar وأبوللو نيوس Apollonius كما جاء ذكرها فى المصادر الإغريقية وفى شذرات شعرية حفظها التاريخ ومنسوبة إليه. ونعرف أن أرض شعب هايبربوريا حدد موقعها باحثون فى أقصى شمال اليونان أو ثمة توافق فى الآراء بأن موطنهم شمال البلقان وشرقه. ولكن هذا لا يتسق مع تقرير يفيد أن أباريس مر بإيطاليا فى أثناء عودته من اليونان إلى أرض الوطن. انظر جوترى Guthrio (١٩٥٠) وبوركيرت Burkert (١٩٧٢) وستراكان Sthachan (١٩٩٨) .

(٢٣) فخذه المصنوعة من الذهب. ..." يفيد يامبليكوس دون تدقيق كثير أن فيثاغورس كشف عن فخذه الذهبية لأباريس كبرهان على نسبه الإلهى، ويذهب المعلقون المعاصرون على أن هذه ربما كانت وحمة أو شامة على الجلد أو إصابة فى أثناء أداء إحدى الشعائر أو ربما دلالة رمزية على قانون رياضى اكتشفه فيثاغورس. انظر جوترى (١٩٥٠) وبوركيرت (١٩٧٢) وستراكان (١٩٩٨).

ويمكن الاطلاع على مزيد من الهوامش ومعلومات إضافية عن فيثاغورس فى موقع

Borkeley Hills Books

وهو :

WWW.Berkeleyhills.com

المراجــع

What follows is a listing of texts that were important to the authors in developing this volume. For a complete bibliography on Pythagoras see Luis Navia's *Pythagoras: An Annotated Bibliography* (Garland, 1990). Also of special note is the comprehensive collection of Pythagorean sources, *The Pythagorean Sourcebook*, edited by David Fideler (Phanes, 1987).

Aczel, Amir. *Fermat's Last Theorem: Unlocking the Secret of an Ancient Mathematical Problem.* (Four Walls Eight Windows, 1996)

Aristotle, *De caelo.*

_______, *Metaphysics.*

Bamford, Christopher, Editor. *Homage to Pythagoras: Rediscovering Sacred Science.* (Lindisfarne, 1994).

Bell, Eric T. *The Magic of Numbers.* (McGraw Hill, 1946).

Boethius, *The Principles of Music.* Translated into English by Calvin M. Bower. (Yale University, 1998).

_______, *Fundamentals of Music,* Translated into English by Calvin M. Bower. (Yale University, 1989).

Burkert, Walter. *Lore and Science in Ancient Pythagoreanism.* Translated into English by Edwin L. Minar Jr. (Harvard University, 1972).

Bury, J. B. and Russell Meiggs. *A History of Greece.* (St. Martin's 1975).

Cornford, Francis Macdonald. *Before and After Socrates* (Cambridge University, 1966).

_______, *Plato's Cosmology* (Harcourt Brace, 1937, 1948).

_______, *The Unwritten Philosophy and Other Essays* (Cambridge University, 1950).

Critchlow, Keith. *Order in Space* (Thames & Hudson, 1964).
Daniélou, Alain. *Music and the Power of Sound: The Influence of Tuning and Interval on Consciousness.* (Inner Traditions, 1995).
Day, Duncan C.T. *The Pythagoras Connection: An Initiation into the Mysteries of Life*, 3 Volumes. (Lambda Books, 1995).
De Vogel, C.J. *Pythagoras and Early Pythagoreanism.* (Van Gorcum, 1966).
Diogenes Laertius, *Lives of the Eminent Philosophers.* Translated into English by R. D. Hicks. Loeb Classical Library edition with Greek text (Harvard University, 1950).
Doczi, Györgi. *The Power of Limits: Proportional Harmonies in Nature, Art & Architecture.* (Shambhala. 1981).
Dodds, E. R. *The Greeks and the Irrational.* (University of California, 1951).
Eliade, Mircia. "Orpheus, Pythagoras and the New Eschatology" in *A History of Religious Ideas*, Vol. 2 (University of Chicago, 1982).
Farnell, L. R. *The Cults of the Greek City States.* (Caratzas Bros., 1977).
Fideler, David. *Jesus Christ, Sun of God: Ancient Christian Cosmology and Early Christian Symbolism* (Quest, 1993).
_______, Editor. *The Pythagorean Sourcebook and Library* (Phanes, 1987).
_______, Editor. *Alexandria: the Journal of the Western Cosmological Tradition.* (Periodical published by Phanes).
Freeman, Kathleen. *Ancilla to the Pre-Socratic Philosophers.* (Harvard University, 1948).
Fuller, R. Buckminster. *Synergetics.* (Macmillan, 1975).
_______, *Utopia or Oblivion: The Prospects for Humanity* (Allen Lane, 1970).
Ghandi, Mohandas K. *Vows and Observances.* (Berkeley Hills, 1999).
Ghose, Aurobindo. *The Life Divine* (Sri Aurobindo Ashram, 1973).
Ghyka, Matila. *The Geometry of Art and Life* (Dover, 1977).
Godwin, Joscelyn. *Robert Fludd: Hermetic Philosopher and Surveyor of Two*

Worlds (Thames & Hudson, 1979).
_______, *Harmonics of Heaven and Earth: The Spiritual Dimension of Music from Antiquity to the Avant-Garde* (Inner Traditions, 1987).
_______, *The Harmony of the Spheres: A Sourcebook of the Pythagorean Tradition in Music* (Inner Traditions, 1993).
_______, *Music, Mysticism and Magic: A Source Book* (London: Routledge & Kegan Paul, 1986).
Gorman, Peter, *Pythagoras: A Life.* (Routledge & Kegan Paul, 1979).
Guthrie, Kenneth Sylvan, Translator. *The Pythagorean Sourcebook and Library* (Phanes, 1987).
Guthrie, W. K. C., *Orpheus and Greek Religion* (Norton 1966).
_______, *The Greek Philosophers* (Harper & Row, 1975).
_______, *The Greeks and Their Gods.* (Beacon, 1950).
Hall, Manly P. "The Life and Philosophy of Pythagoras." From *An Encyclopedic Outline of Masonic, Hermetic, Cabbalistic and Rosicrucian Symbolic Philosophy,* pp. 65-68. (H. S. Crocker, 1928).
Harman, Willis et. al. *Alternative Futures and Educational Policy* (SRI International, 1970)
_______, *Changing Images of Man* (SRI International, 1974).
Heninger, S. K. Jr. *Touches of Sweet Harmony: Pythagorean Cosmology and Renaissance Poetics.* (Huntington Library, 1974).
Herodotus. *The Histories.* Translated by John M. Marincola. (Penguin, 1954).
Hersey, G. L. *Pythagorean Palaces: Magic & Architecture in the Italian Renaissance.* (Cornell University, 1976).
Huxley, Aldous. *The Perennial Philosophy* (Harper and Row, 1970).
Iamblichus, *The Exhortation to Philosophy.* Translated into English by Thomas Moore Johnson. (Phanes, 1988).
_______, *On the Pythagorean Life.* Translated into English by Gillian Clark. (Liverpool University, 1989).

———, *On the Pythagorean Way of Life.* Translated into English by John Dillon and Jackson Hershbell. With Greek text (Society of Biblical Literature, 1991).

———, *Life of Pythagoras.* Translated into English in 1818 by Thomas Taylor. (J. M. Watkins, 1965).

———, *The Theology of Arithmetic: On the Mystical, Mathematical and Cosmological Symbolism of the First Ten Numbers.* Translated into English by Robin Waterfield. (Phanes, 1988).

James, Jamie. *The Music of the Spheres: Music, Science, and the Natural Order of the Universe* (Grove Press, 1993).

Kirk, G. S., J. E. Raven and M. Schofield. *The Presocratic Philosophers.* (Cambridge University, 1983).

Lamy, Lucie. *Egyptian Mysteries: New Light on Ancient Knowledge.* Translated by Deborah Lawlor. (Thames & Hudson, 1981).

Lattimore, Richmond, Translator. *The Iliad* of Homer. (University of Chicago Press, 1951).

Lawlor, Robert. *Sacred Geometry: Philosophy and Practice* (Thames and Hudson, 1997).

Leslie Ralph. *Pythagoras: A Short Account of His Life and Philosophy.* (Krikos, 1961).

Levarie. Siegmund. "Music as a Structural Model", *The Journal of Social Biological Structure* vol. 3 (1980).

———, and Ernst Levy. "The Pythagorean Concept of Measure," *Main Currents in Modern Thought*, vol. 21 no. 3 (Jan-Feb, 1965).

———, and Ernst Levy "The Pythagorean Table," *Main Currents in Modern Thought*, vol. 30 no. 4 (Mar-Apr, 1974).

Lovejoy, Arthur O. *The Great Chain of Being* (Harvard University, 1964).

McClain, Ernest G. *The Pythagorean Plato: Prelude to The Song Itself* (Nicolas Hays, 1978).

McKirahan Richard D. *Philosophy before Socrates : An Introduction With Texts and Commentary* (Hackett, 1994).

Mead, G. R. S. *Orpheus*. (London: J. M. Watkins, 1965).

Meadows, Donella, H., et. al. *The Limits to growth: A report for the Club of Rome's Project on the Predicament of Mankind*. (New American Library, 1975).

Michell, John. *The Dimensions of Paradise: The Proportions and Symbolic Numbers of Ancient Cosmology* (Harper & Row, 1988).

_______, *The New View Over Atlantis*. (Thames & Hudson, 1983).

Navon, Robert. *The Pythagorean Writings: Hellenistic Texts From The 1st Cent. B.C.-3rd Cent. A.D.* Translated into English by Kenneth Guthrie and Thomas Taylor. (Selene Books, 1986).

Neumann, Erich. *The Origins and History of Consciousness*. R. F. C. Hull, Translator. (Princeton Univerity Press, 1954).

Nicomachus of Gerasa. *The Manual of Harmonics*. Translated into English by Flora Levin. (Phanes, 1994).

O'Meara, Dominic J. *Pythagoras Revived: Mathematics and Philosophy in Late Antiquity*. (Clarendon, 1989).

Ovid. *Metamorphoses*.

Philip, J. A. *Pythagoras and Early Pythagoreanism*. (University of Toronto, 1966).

Plato. *Phaedo*.

_______, *The Republic*

_______, *Timaeus*.

Porphyry. *Life of Pythagoras*. Translated into English by Morton Smith and published in *Heroes and Gods: Spiritual Biographies in Antiquity*, edited by Moses Hadas and Morton Smith (Harper & Row, 1965).

Robinson, John Mansley. *An Introduction to Early Greek Philosophy*. (Houghton Mifflin, 1968).

Rutherford, Ward. *Pythagoras, Lover of Wisdom.* (The Aquarian, 1984).
Santillana, Giorgio de. *The Origins of Scientific Thought from Anaximander to Proclus.* (University of Chicago, 1961).
Schimmel, Annemarie. *The Mystery of Numbers.* (Oxford University, 1993).
Schopenhauer, Arthur, *Pythagoras and the Delphic Mysteries.* Translated into English by F. Rothwell. (Rudolf Steiner Publications, 1971).
Schuré, Edouard. *The Ancient Mysteries of Delphi: Pythagoras.* (Rudolf Steiner Publications, 1971).
Schwaller de Lubicz, R. A. *A Study of Numbers: A Guide to the Constant Creation of the Universe* (Inner Traditions, 1986).
_______, *Sacred Science: The King of Pharaonic Theocracy.* Translated into English by Andre and Goldian Vanden Broeck. (Inner Traditions, 1982).
_______, *The Temple in Man: Sacred Architecture and the Perfect Man* Translated into English by Robert & Deborah Lawlor. (Inner Traditions, 1977).
_______, *The Temple of Man* (Inner Traditions, 1998).
Shear, Jonathan, ed. *Explaining Consciousness: The Hard Problem* (M.I.T. Press, 1997).
_______, *The Inner Dimension: Philosophy and the Experience of Consciousness* (Peter Lang, 1990).
Strachan, Gordon. *Jesus the Master Builder: Druid Mysteries and the Dawn of Christianity* (Floris Books, 1998).
Carlo Suarès. *The Cipher of Genesis* (Samuel Weiser, 1992)
Taylor, Thomas. *Pythagorean Precepts.* (The Alexandrian, 1983).
_______, *The Theoretic Arithmetic of the Pythagoreans.* (Weiser, 1975).
Theon of Smyrna. *Mathematics Useful for Understanding Plato.* Translated by Robert & Deborah Lawlor (Wizards Bookshelf, 1979).

Thesleff, Holger. *The Pythagorean Texts of the Hellenistic Period.* (Abo Akademie, 1965).

Thom, Johan C. , Translator and Editor. *The Pythagorean Golden Verses* (E. J. Brill, 1995).

Van Over, Raymond. *Chinese Mystics* (New York: Harper and Row, 1973)

Vlastos, Gregory. *Plato's Universe* (University of Washington Press, 1975).

Von Fritz, Kurt. *Pythagorean Politics in Southern Italy.* (Columbia University, 1940).

Warden, John. *Orpheus: The Metamorphosis of a Myth,* Editor. (University of Toronto Press, 1985).

West, John Anthony. *Serpent in the Sky: The High Wisdom of Ancient Egypt* (Quest Books, 1993).

Westbrook, A. Peter. "Ayur Veda, Samkhya and the Time Theory of Performance in Hindustani Classical Music." *Journal of Indian Philosophy and Religion,* Vol. 3, October 1998.

_______, "Universal Elements in Musical Cosmology." *Cosmos,* Vol. 13 No. 2, June 1997.

Wigner, Eugene P. "The Unreasonable Effectiveness of Mathematics in the Natural Sciences." in *Symmetries and Reflections,* (Indiana University Press, 1967).

Wilber, Ken. *The Marriage of Sense and Soul: Integrating Science and Religion.* (Random House, 1998)

_______, *Eye to Eye: The Quest for the New Paradigm* (Anchor/ Doubleday, 1983)

Woodhead, A. G. *The Greeks in the West.* (Praeger, 1966).

Zuckerkandl, Victor. *Sound and Symbol: Music and the External World.* (Princeton University Press, 1956).

ثبت المصطلحات والأعلام

أيثاليديس	Aethalides
أجريجنتوم [مدينة]	Agrigentum
أهورا مازدا	Ahura -Mazda
أليكساناموس	Alexanamos
أنكسمندر	Anaximander
أنكايوس ملك اسطورى	Ancaeus
أفروديت - إلهة الحب	Aphrodite
أبوللو	Apollo
أكويناس	Aquinas
أركيبوس	Archippus
أرسطو	Aristotle
أرسطو فينوس	Aristoxenus
أرتيمى	Artemis
أرتيميس	Artemis
عشتار	Ashtara
أثينا	Athena

Baal	بعل
Babylonia	بابل
Bias	بياس
Black body	الجسم الأسود
Budha	بوذا
Burkert Walter	بيركيرت والتر
Cambyses	قمبيز
Catanes	كاتانيس [مدينة]
Caulonia	كولونيا
Chromatic	السلم اللونى
Chronos	كرونوس
Club of Rome	نادى روما
Cornford E M	كورنفورد إى . إم
Cosmogony	نظرية نشأة الكون
Cosmos	كوزموس "نواميس الكون"
Counter-earth	الأرض المقابلة
Cratis	كراتيس [نهر]
Cthonie	كتونيا
Damo	دامو
Daniel Boorstin	دانييل بورستون

Decad	عشرة
Delos	ديلوس
Delos	ديلوس [جزيرة]
Delphi	دلفى [معبد]
Demiurge	الديميورج الصانع
Democedes	ديموسيديس
Diogenes laertius	ديوجين لايرتيوس
Dionysus	ديونيوس
Dodecahedron	ذو الاثنى عشر سطحا
Dyad	الثنائى
Egypt	مصر
Eidos	إيدوسفكرة
Einstein	إينشتين
Eleusis	إليوسيس
Eleusis	إليوزيس
Elijah	إليا
Elisha	إليشع
Empedocles	إمبيدوقليس
Ennead	التاسوع
Epaminondas	إيبامينونداس

Epicharmus	إبيكارموسى
Epimenides	إبيمينيدس
Eratocles	إيراتوكليس
Eros	إيروس – إله الحب
Essence	جوهر
Etymology	علم أصول وتاريخ الكلمات
Eudaimonia	الإيودايمونيا – السعادة الحقة والتناغم والنظام والصداقة
Euphorbus	إيفوربوس
Eurymenes	إيورومينيس
Fuller, Buckminstes	فوللر، بوكمنستر
Getae	جيتاى (شعب)
Hades	الجحيم / العالم السفلى
Harmony	التناغم
Hebrew	عبرى
Hebtad	السباعى
Heliopolis	هليوبوليس
Hercule	هرقل
Hermes	هيرمس
Hermeticism	الهرمسية

Hermopolis	هيرموبوليس
Hermotimus	هيرموتيموس
Hexad	السداسى
Hexahedron	خماسى السطوح
Himaera	هيمابيرا [مدينة]
Huxley, Aldous	هكسلى، الدوس
Hyperion	هايبريون – النار المركزية
Imbrus	إيمبروس
Irrational numbers	الأعداد الصماء
Jamblicus	يلمبليخوس
Jason	ياسون
Jonia	إيونيا (مجموعة جزر)
Kearney, Hugh	كيرنى، هوغ
Kepler	كيبلر
Kraton	كروتون
Leto	ليتو
Locri	لوكرى
M .Taygetus	جبل تايجيتوس
Macrobius	ماكروبيوس
Magi	المجوس

Master sciences	علوم الأصول
Mechanistic view	النظرة الميكانيكية
Megaproblem	المشكلة العالمية الكبرى
Melamphyllos	ميلامفيلوس
Memphis	ممفيس
Menesarchus	مينساركوس
Midas	ميداس
Monad	الموناد [الوحدة الأولى]
Morgos	مورجوس
Moses	موسى
Mt. Dicte	جبل ديكت
Myllias	ميلياس
Mystic	صوفى
Mysticism	الصوفية
Neoplatonism	الأفلاطونية الجديدة
Neuman ,Eric	نيومان إريك
Newton	نيوتن
Oceanus	أوكيانوس – إله البحر المحيط بالأرض
Octad	الثمانى
Octahedron	ثمانى السطوح

Oneness	وحدانية
Orpheus	أورفيوس
ousia	أوسيا [الوجود والكينونة]
Panthean	البانثيون – مجمع الأرباب
Parmenides	بارمينيديس
Parthenis	بارتينيس
Pentad	الخماسى
Perennial Philosophy	الفلسفة الدائمة
Pherecydes of Syros	فير يسايدس السيروسى
Philip J .A	فيليب، جى. ايه
Phintias	فينتياس
Phoenicia	فينيقيا
Phythagoras	فيثاغورس
Planck Max	بلانك، ماكس
Plataea	بلاتايا
Plato	أفلاطون
Platonic Solids	المجسمات الأفلاطونية
Pleiades	بنات أطلس السبع [فلك]
Plotin	أفلوطين
Polycrates	بوليكرتيس

Porphyry	فورفيريوس
Priene	برين
Primordial Scission	الانشطار الأولى
Proportion Theory	نظرية النسبة والتناسب
Psammetichus	بسمتيك
Pythis	بيتيسام فيثاغورس
Quadrivium	المجموعة الرباعية للدراسات (الحساب ، الموسيقى، الهندسة، الفلك)
Quantum mechanics	ميكانيكا الكم (الكوانطا)
Radiation	إشعاع
Rhegium	ريجيوم [مدينة]
Samos	ساموس [بلدة]
Samothrace	ساموثراس
Sparta	سبرطة
Stanford Research institute	معهد ستانفورد للبحوث
Sybaris	سيباريس [مدينة]
System of thought	منظومة فكر
Tauromenium	تورومينيوم [مدينة]
Telauges	تيلوجيس
Terina	تيرينا
Terpsichore	تيربسيكور [ربة الرقص والحركة]

Tetrad	الرباعى
Tetrahedron	الرباعى السطوح
Tetraktys	تتراكتيس - المثلث العشرى
Thales of Miletus	طاليس الميلى
The Thausand	مجلس الألف
Theano	ثيانو [زوجة فيثاغورس]
Thebes	طيبة
Thompson,William,Irwin	توميسون وليام إروين
Thrace	تراقيا
Timaeus	طيماوس "محاورة لأفلاطون"
Transcendental	متعال
Triad	الثالوث
Tyre	صور [بلدة]
Utopia	يوتوبيا
Von Fritz Kurt	فون فريتس،كيرت
Wilber, Ken	ويلبر، كين
Zalmoxis	زالموكسيس
Zas	زاس
Zeus	زيوس
Zoraaster	زرادشت

المؤلفان فى سطور:

جون سترومير

درس اللغتين اليونانية القديمة واللاتينية بجامعة واشنطن وجامعة براون. أشرف على تحرير كثير من الكتب من أحدثها سلسلة من خمسة كتب من تأليف المهاتما غاندى والصادرة عن دار بيركلى هيلز بوكس، ويعيش فى بيركلى - كاليفورنيا

بيتر ويستبروك

له كتابات غزيرة ومحاضرات كثيرة على الصعيد الدولى عن العلوم المقدسة، وكذا عن الكوزمولوجيا الموسيقية - مؤلف موسيقى وعازف، يعيش فى سيلفرسبرنج، فى ميريلاند.

المترجم فى سطور:

شوقى جلال محمد عثمان

- مواليد القاهرة ١٩٣١.

- ليسانس آداب جامعة القاهرة ١٩٥٦.

- مقرر لجنة الترجمة ـ المجلس الأعلى للثقافة ـ القاهرة.

- عضو المجلس الأعلى للمعهد العالى العربى للترجمة بالجزائر - جامعة الدول العربية.

- عضو لجنة قاموس علم النفس بالمجلس الأعلى للثقافة فى الثمانينيات .

مؤلف لاثنى عشر كتابا منها:

- أركيولوجيا العقل العربى ـ البحث فى الجذور.

- ثقافتنا والإبداع.

- المجتمع المدنى وثقافة الإصلاح - رؤية نقدية للفكر العربى.

- الترجمة فى العالم العربى ـ الواقع والتحدى .

ترجم أكثر من ستين عنوانا منها:

السفر بين الكواكب ـ تأليف شيتر نفيله، عام ١٩٥٧

- بنية الثورات العلمية - تأليف توماس كون.

- الثقافات وقيم التقدم تأليف :

صمويل هنتنجتون

لورانس هاريزون

التصحيح اللغـوى : محمـــد المصــرى

الإشــراف الفنــى : حســـن كامـــل